الباب الرابع

النتائج

النتيجة الأولى : قوانين النبوة .

النتيجة الثانية : قانون قوة النبوة .

النتيجة الثالثة : النبوة مرتبة عظيمة .

النتيجة الرابعة : المسيح نبي وليس إلهاً .

النتيجة الخامسة : محمد ﷺ لايمكن إلا أن يكون نبياً .

النتيجة الأولى

قوانين النبوَّة

بعد هذا الاستعراض لمظاهر النبوَّة عند الأنبياء الثلاثة فإنَّنا نستطيع أن نستنتج : أنَّ النبوَّة عبارةٌ عن ظاهرةٍ واقعيةٍ حسِّيَّةٍ ملموسةٍ ، على الرغم من أنَّ التحكم بالنبوَّة ومظاهرها وأدلَّتها أمرٌ غيبيٌّ مرهونٌ بقدرة الله وإرادته .

فالبشر يستطيعون أن يتعرفوا على أنبيائهم من خلال الأدلة والبراهين التي يقدمها لهم نبيُّهم ، وذلك بشكلٍ بديهيٍّ وفطريٍّ ، وحتى دون الحاجة إلى مقارناتٍ ، أو دراساتٍ ، أو بيانات إحصائية .

وعلى الرغم من ذلك فإنَّ للنبوَّة قوانين ومعادلاتٍ رياضيةً يجب أن تنطبق ، على أيِّ نبيٍّ حتى يتقبل الناس نبوَّته من جهة ، وحتى يكشف الناس كلَّ كذَّابٍ يمكن أن يدَّعي النبوَّة .

فما هي قوانين النبوَّة ؟

أولاً ـ قانون النبوَّة الأول :

ذكرنا في الباب الأول من هذا البحث أنَّ الأنبياء يتمتعون بصفات شكلية ، ونفسية ، ودينية ، وأخلاقية ، واجتماعية ، وبيئية ، تجعل هؤلاء الناس مؤهلين لحمل رسالة النُّبوَّة ، وذكرنا لذلك الصفات التالية :

١ـ ذكورة الأنبياء .

٢ـ سلامة عقول الأنبياء .

٣ـ سلامة حواس الأنبياء .

٤ـ سلامة أعضاء الأنبياء .

٥ـ ملاحة وجود الأنبياء .

٦ـ اكتمال الشكل العام للأنبياء .

٧ـ سمو أخلاق الأنبياء قبل النبوَّة .

٨ ـ سلامة وطهارة نسب الأنبياء .

٩ـ عدم ميل الأنبياء إلى الشرك ، وابتعادهم عنه قبل نبوتهم .

١٠ـ جهل الأنبياء بالمعارف البارزة في عصورهم قبل نبوتهم .

١١ـ مقدرة عقول الأنبياء على استقبال خبر نبوَّتهم .

١٢ـ حفظ الله لأنبيائه من الهلاك قبل نبوَّتهم .

١٣ـ كسب الأنبياء لمعيشتهم من تعب أيديهم قبل النبوَّة .

فهناك ثلاث عشرة ميزة يجب أن تتوافر في أيِّ شخص ستظهر عليه النبوّة فيما بعد ، وعلى الرغم من أنَّ هذه البنود الثلاثة عشر بكليتها شرطٌ من شروط النبوَّة ، إلا أنَّها بكليتها ليست شرطاً كافياً لإثبات نبوة فردٍ من أفراد البشر .

فربما اجتمعت هذه الميزات في فرد عاديٍّ من البشر دون أن يكرمه الله بالنبوَّة ، على الرغم من ضآلة هذا الاحتمال .

وربما أصبح اليوم مفهوم كلمة الاصطفاء يعني : الانتخاب ، أو الاختيار ، وربما حاول بعضهم فهم هذه الكلمة ؛ التي ترد في القرآن الكريم مترافقة مع الدلالة على النبوة ، على أنَّ الاصطفاء هو اختيار الله

لشخصٍ ليعطيه النبوَّة ، إلا أنَّ الحقيقة أعظم من ذلك ؛ لأنَّ اجتماع ثلاث عشرة ميزة في شخص معين لا يمكن إلا أن تكون عملاً منظماً وبدقّة بحيث تجتمع في شخص واحد كل هذه الميِّزات .

وبناءً على ذلك فإننا نستطيع أن نؤكد أنَّ الاصطفاء حسب مفهوم القرآن الكريم هو تقديرٌ وترتيبٌ إلهيٌّ لمواصفاتٍ محدّدةٍ ، جمعها الله لشخصٍ واحدٍ ؛ حتى يصبح ذلك الشخص نبيّاً .

ومثال على ذلك قول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣٣ـ ٣٤] .

إذاً فإنَّه يمكننا القول : إنَّ الاصطفاء هو الإطار العام أو الوعاء الظاهري للنبوَّة ، حيث يتمُّ تشكيل هذا الإطار ، أو هذا الوعاء بناءً على تقدير إلهي مسبق ، ويتَّضح هذا المفهوم تماماً في نبوَّة محمد ﷺ ، حيث إنَّ الله تعالى قد منعه من أداء أفعالٍ عاديَّةٍ جداً بالنسبة لغيره ، لكنَّها لا تليق بنبوَّته الموعودة ، حيث منعه الله من أن تنكشف عورته ، أو حتى حضور حفلة زفاف تُمارس فيها المنكرات كما بينا سابقاً .

بناءً على كلِّ ما تقدم فإنَّنا نلخص قانون النبوَّة الأول بما يلي : « كلُّ نبي يجب أن تظهر عليه العلامات والخصائص والمواصفات الثلاثة عشرة ما قبل النبوة حتى نقبل البحث في نبوَّته

ثانياً : قانون النبوَّة الثاني :

كنا قد بيَّنا أنَّ الأشخاص الذين انطبق عليهم قانون النبوَّة الأول ، لابدَّ أن تجتمع لديهم خصائص ومواصفات وميزات أخرى ، بالإضافة إلى الخصائص والمواصفات والميِّزات التي كانوا يتمتَّعون بها قبل نبوتهم ،

وهذه الخصائص ، والمواصفات ، والميزات هي :

١ـ الدَّعوة إلى عبادة الله الواحد .

٢ـ الالتزام بالدَّعوة والخوف من غضب الله .

٣ـ عدم استهداف منافع مادية أو معنوية من النبوَّة .

٤ـ سمو أخلاق الأنبياء فوق سموها .

٥ـ لا يورِّث الأنبياء إلا آثار نبوتهم .

٦ـ الصبر على الأذى والإصرار على متابعة الدَّعوة .

٧ـ البركة وهي حدوث المعجزات دون طلب أو دعاء .

٨ ـ أسماء الأنبياء دليل على نبوتهم .

٩ـ القدرة على ما لا يقدر عليه غيرهم من البشر يدلُّ على نبوتهم .

١٠ـ الاحتفاظ بسلامة وحيوية الأعضاء والشباب حتى النهاية .

١١ـ العصمة من القتل حتى إتمام وظيفته كنبيٍّ .

من الملاحظ : أنَّ الخصائص والمواصفات والميِّزات الـ (١١) السابقة ظهرت عند أنبياء الرسالات الثلاثة بعد أن ظهرت عليهم مواصفات قانون النبوَّة الأول ، الأمر الذي يدعونا إلى الاستنتاج أنَّ ظهور الخصائص والمواصفات والميزات الـ (١١) عند نبيٍّ من الأنبياء هو دليل على نبوَّة أيِّ نبيٍّ طالما أنَّ هذا النبيَّ لا يوجد في سيرته ما يتعارض مع قانون النبوَّة الأول . وبمعنى آخر : فإنَّ شخصاً ظهرت عليه العلامات الـ (١١) لابدَّ أن يكون قد انطبق عليه قانون النبوَّة الأولى ؛ لأنَّ الخصائص الـ (١١) لن تظهر عليه لو لم يكن قد تحققت لديه شروط قانون النبوَّة الأول .

ومن هنا نستنتج قانون النبوَّة الثاني :

الشرط اللازم لقبول نبوَّة شخص ما هو تحقق مواصفات ما بعد

النبوَّة ، والتي تعطيه أيضاً مواصفات ما قبل النبوَّة بالضرورة » وهذا هو قانون النبوَّة الثاني .

وتجر الإشارة أخيراً إلى أنَّ نبوَّة محمد ﷺ على الرغم من تحقيقها لقانون النبوَّة الثاني ؛ إلا أنَّ نبوة محمد ﷺ تمتعت بخصائص ومواصفات وميزات خاصة به تميَّز بها عن كافة الأنبياء ، وهي :

١ـ عروبة محمد ﷺ دلَّت على نبوَّته .

٢ـ العلامة الجسدية على كتف محمد ﷺ تدلُّ على نبوَّته .

٣ـ إنشاء محمد ﷺ لمملكة الله على الأرض دليلٌ على نبوته .

٤ـ الفصاحة اللغوية دليلٌ على نبوَّة محمدٍ ﷺ .

٥ـ قاعدة نبي القرون الستة .

كما قد شرحنا في بابٍ سابقٍ : أنَّ علامات ما بعد النبوَّة عند محمدٍ ﷺ قد أضيف عليها خمسة أدلة تؤكد نبوة محمد ﷺ ويبدو من خلال استعراض الأدلة الخمسة أنَّ هذه الأدلة أعطيت له لتأكيد نبوَّته لليهود والمسيحيين ؛ الذين ورد في كتبهم المقدسة علامات لمحمَّدٍ ﷺ فعروبته تقتضي تفوقه اللغوي على العرب ، والعلامة التي على كتفه تؤكد نبوَّته ، وإنشاؤه لمملكة الله التي لم يقمها الأنبياء من قبله تدلُّ على نبوَّته ، وذلك كلُّه لأنَّ محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء ، وقد عهد الله إليه بإتمام كافة المهامِّ التي لم يحققها الأنبياء الذين سبقوه في النبوَّة ، وبالتالي تقديم الأدلة الدامغة لكلٍّ من اليهود والمسيحيين على نبوَّة محمد ﷺ .

ثالثاً : قانون النبوَّة الثالث :

لاحظنا من خلال بابٍ سابقٍ أنَّ أنبياء التشريع الثلاثة قد أوحى الله إليهم على الرغم من تنوُّع طرق الوحي إليهم .

وعلى الرغم من أنَّ الوحي عمليةٌ لم يُطلع الله تعالى كافة أنبيائه على كافة جوانبها ، إلا أنَّ الوحي من حيث النتيجة هو ظاهرة تَيَقَّن أتباع الأنبياء من وجودها ، وذلك بطريقة الاستنتاج المباشرة .

فقد ثبت أنَّ أنبياء التشريع الثلاثة قد ظهرت عليهم علامات الوحي التالية :

١ـ مظاهر الوحي الشكلية .

٢ـ معرفة ما يختلج في صدور الناس .

٣ـ معرفة ما يدور بين أتباع النبيِّ سراً .

٤ـ معرفة ما يدور بين أعداء النبوَّة .

٥ـ الإجابة عن الأسئلة المحرجة .

٦ـ الإخبار عن ملكوت الله .

٧ـ الإخبار عن الماضي البعيد .

٨ ـ الإخبار عن المستقبل البعيد .

٩ـ الإخبار عن مصائر أتباعه .

١٠ـ الإخبار عن مصائر أعدائه .

١١ـ استجابة أدعية الأنبياء .

١٢ـ اعتراف كل نبيٍّ بكلِّ من سبقه من الأنبياء .

١٣ـ تلازم النبوة مع قول الحكمة .

١٤ـ إعلان كل نبي لتشريع يتبعه ، ويطبقه ، ويلتزم به .

١٥ـ معرفة كل نبيٍّ للحظة التي سيموت فيها .

١٦ـ عدم خوف الأنبياء من الملوك .

١٧ـ الكتب المنزلة .

١٨ـ المعجزات الحسِّيَّة .

١٩ـ تبشير كل نبي بمن سيليه من الأنبياء .

٢٠ـ التحذير من يوم القيامة .

٢١ـ الأنبياء يحذِّرون من المسيح الدَّجال .

فإذا تأملت كلَّ علامةٍ من هذه العلامات الواحدة والعشرين علامةً ؛ وجدت أنَّ أيَّ نبيٍّ ليس له أيُّ مصلحة في ذكر تفاصيل أيِّ علامة من علامات الوحي ، كما أنَّ علمه الخاص لا يمكن أن يتنامى إلى حدٍّ تنطبق عليه صفات أيِّ علامة من العلامات ، كما أنَّ قدرات أيِّ نبيٍّ لا يمكن أن ترتقي إلى درجة فعل الخوارق والمعجزات .

وخلاصة القول : إنَّ هذه العلامات هي أدلةٌ حسِّيَّةٌ لا يمكن لعاقل إلا أن يرجع أسبابها إلى الله العالم العليم ، القادر القدير ، أمَّا طريقة توصيل هذه المعلومات ؛ فذلك هو الوحي ، والذي لا يكون إلا لنبيٍّ .

وعلى الرغم من أنَّ القرآن الكريم قد اعتبر الوحي هو دليل النبوَّة ، كما ورد في سورة الأنبياء :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٧] .

على الرغم من ذلك فإنَّ مظاهر الوحي وأدلَّته المتعددة تجعلنا نقف أمام كمٍّ هائلٍ من مظاهر الوحي ، الأمر الذي يجعلنا نستنتج أنَّ دليلاً واحداً من أدلة الوحي يكفي لإثبات إيحاء الله إلى نبيٍّ من الأنبياء ، وذلك لكون بعض الأنبياء يمتلك دليلاً واحداً فقط من أدلَّة الوحي التي أسلفنا ذكرها .

إنَّ مظهراً واحداً من مظاهر الوحي يكفي لأن يكون الشخص نبياً بشرط أن يتحقق في الشخص مواصفات ما بعد النبوَّة ، وبالتالي فإنَّ هذا الشخص سيتحقق فيه مواصفات ما قبل النبوَّة ، وهذا لا ينطبق إلا على ذكور بني البشر فقط .

بناءً على ذلك فإننا نستنتج قانون النبوَّة الثالث ، وهو :

« الشرط اللازم لقبول نبوَّة أيِّ ذكرٍ من البشر امتلاك دليلٍ واحدٍ على الأقل من أدلة الوحي إليه » .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ علامات الوحي السابقة الذكر وجدت عند أنبياء التشريع الثلاثة ؛ لذلك فقد اعتبرناها علامات وحي عامة ، أما علامات الوحي التي ظهرت عند نبيين فقط ، من أنبياء التشريع الثلاثة فقد اعتبرناها علامات وحي خاصة ، في حين أننا اعتبرنا علامات الوحي التي ظهرت عند نبيٍّ واحدٍ من الأنبياء الثلاثة علامات وحيٍ منفرد .

علامات الوحي الخاصة :

١ـ حصول النبي على مخطط سير نبوَّته (موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام) .

٢ـ نقل أحاديث قدسية عن الله عز وجل (المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام) .

٣ـ نقل رسائل من الله إلى أشخاص مؤمنين (موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام) .

٤ـ تعديل وحيٍ سابقٍ بوحي لاحقٍ (المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام) .

علامات الوحي المنفرد :

وهي علامات ظهرت عند محمَّدٍ ﷺ فقط دون غيره من أنبياء التشريع الثلاثة وهي :

١ـ الرؤى وتحققها .

٢ـ تفسير الرؤى للآخرين وتحقق التفسير .

٣ـ الأمِّيَّة والموسوعية .

٤ـ التحدث عن مصائر الأنبياء السابقين .

٥ـ فضُّ إشكاليات روايات الكتب السابقة .

٦ـ الوحي إلى البشرية خاصتهم وعامتهم .

٧ـ القرآن الكريم .

رابعاً : قانون النبوَّة الرابع :

قلنا : إنَّ قانون النبوَّة الأول يتضمن شروط قبول البحث في نبوَّة أيِّ شخصٍ ، وقلنا : إنَّ قانون النبوَّة الثاني يشكل الشرط اللازم تحققه لإثبات نبوة أيِّ شخص ، وإن تحقق شروط قانون النبوَّة الثاني يثبت للشخص تحقق قانون النبوَّة الأول لديه .

وقلنا أيضاً : إنَّ امتلاك شخص ما لدليلٍ واحدٍ من أدلَّة الوحي شرطٌ لازمٌ لإثبات نبوَّته .

فما هو الشرط اللازم والكافي لقبول نبوَّة شخصٍ ما ؟

إنَّ الشرط اللازم والكافي لقبول نبوَّة شخصٍ ما هو :

امتلاك الشخص لدليلٍ واحدٍ على الوحي إليه بالإضافة إلى تحقق قانون النبوَّة الثاني .

بمعنى آخر : فإنَّ شرط وحيٍ واحدٍ بالإضافة إلى إحدى عشرة صفة من صفات ما بعد النبوة كافية لإثبات نبوَّة أيِّ نبيٍّ .

فالحدُّ الأدنى المقبول لقبول نبوَّة أيِّ نبيٍّ هو أن يمتلك النبيُّ دليل وحيٍ واحدٍ وأحد عشر دليلاً من أدلة ما بعد النبوَّة ، وعندها سوف يضاف إليه بالضرورة ثلاث عشرة مواصفة من مواصفات ما قبل النبوَّة .

فإذا رمزنا لقانون النبوَّة الأول بـ ق ١ .

ورمزنا لقانون النبوَّة الثاني بـ ق ٢ .

ورمزنا لقانون النبوَّة الثالث بـ ق ٣ .

فإنَّ الشرط اللازم والكافي يتحقق بالمعادلة ق٢ + ق٣ = ١٢ .

فعند تحقق الشرط اللازم والكافي فإنَّ ثلاث عشرة علامة من علامات ما قبل النبوَّة يمكن إضافتها إلى الشرط اللازم والكافي ، وعندها تصبح العلاقة على الشكل التالي :

ق١ + ق٢ + ق٣ = ٢٥ وذلك لأنَّ ق١ = ١٣ و ق٢ = ١١ و ق٣ = ١

إذاً فإنَّ الحدَّ الأدنى المقبول لقبول نبوَّة أيِّ نبيٍّ هو أن يمتلك هذا النبي لخمس وعشرين صفةً من صفات النبوَّة الموزعة على قوانين النبوَّة الثلاث .

* * *

النتيجة الثانية

قانون قوَّة النبوَّة

إنَّ قانون النبوَّة الرابع والذي مثلناه في العلاقه ق١ + ق٢ + ق٣ = ٢٥ يعطينا تقييماً رياضياً لأدلة النبوَّة التي يمتلكها كلُّ نبيٍّ ، فكلَّما زادت أدلَّة النبوَّة عند نبيٍّ من الأنبياء زادت قيمة المعادلة .

فإذا هناك علاقةٌ طرديةٌ بين مجموع مواصفات النبوَّة وطرف المتراجحة الرقمي ، والذي يعطينا رقماً رياضياً نستطيع بوساطته أن نصنف الأنبياء حسب درجة قوة نبوَّتهم .

فإذا رمزنا لمواصفات قانون النبوَّة الأولى الإضافية بـ أ

ورمزنا إلى مواصفات قانون النبوَّة الثاني الإضافية بـ ب

ورمزنا إلى أدلة الوحي العامة الإضافية بـ جـ

ورمزنا إلى أدلة الوحي الخاصة بـ د

ورمزنا إلى أدلة الوحي الفردية بـ و

وإذا رمزنا لمجموع (أ + ب + جـ + د + و) = س

فإن العلاقة الرياضية تصبح كما يلي :

ق١ + (أ) + ق٢ + (ب) + ١ + (جـ) + (د) + (و) ≥ ٢٤ + س

ولبيان ذلك نورد الجدول التالي الذي يُجمل المواصفات المعروفة كافة لأنبياء التشريع الثلاث :

النبي	علامات ما قبل النبوة		علامات ما بعد النبوة		مظاهر الوحي				قوة النبوة
	ق١ = عامة	أ = خاصة	ق٢ = عامة	ب = خاصة	ق٣ كافية	جـ عامة	د خاصة	و فردي	
١ ـ موسى	١٣	٠	١١	٠	١	٢٠	٢	٠	٤٧
٢ ـ المسيح	١٣	٠	١١	٠	١	٢٠	٢	٠	٤٧
٣ ـ محمد	١٣	١	١١	٥	١	٢٠	٤	٧	٦٢

وبالتبديل في العلاقة نجد بالنسبة لنبوَّة كلٍّ من :

موسى عليه السلام ١٣ + ٠ + ١١ + ٠ + ١ + ٢٠ + ٢ + ٠ = ٤٧ درجة

المسيح عليه السلام ١٣ + ٠ + ١١ + ٠ + ١ + ٢٠ + ٢ + ٠ = ٤٧ درجة

محمد ﷺ ١٣ + ١ + ١١ + ٥ + ١ + ٢٠ + ٤ + ٧ = ٦٢ درجة

إذاً فإنَّ العلاقة السابقة تعطينا القاعدة الأساسية لتصنيف قوة نبوة جميع الأنبياء .

ويبدو أنَّ المشكلة التي تعترض تطبيق هذه العلاقة الرياضية على الأنبياء كافة هو عدم توافر المعلومات التفصيلية عن نبوة كلِّ نبيٍّ من الأنبياء ؛ الذين أرسلهم الله تعالى إلى عباده .

والحقيقة أنَّ المشكلة محلولة تماماً ، وذلك باعتبار أنَّ أنبياء التشريع الثلاثة يمتلكون حقَّ الشهادة على نبوَّة أيِّ نبيٍّ ، وبناء على ذلك فإنْ وُصِف على لسان موسى عليه السلام أيُّ شخصٍ بأنه نبي ؛ يعطي ذلك الشخص امتياز النبوَّة ، شريطة أن يرد وصف النبوة لذلك الشخص على لسان موسى عليه السلام نفسه ، وبذلك يمكن أن نمنح هذا الشخص الخمس والعشرين درجة الكافية لتطبيق نبوته ، ومن ثم نضيف إلى ذلك النبيِّ صفات النبوَّة الأخرى ، فنحصل على ترتيب قوة النبوة لذلك النبيِّ .

وبنفس الطريقة نأخذ شهادة المسيح عليه السلام للأنبياء ، وكذلك نأخذ شهادة محمد ﷺ .

إذاً فإنَّ شهادة واحدٍ فقط من أنبياء التشريع الثلاثة لأيِّ شخص بالنبوَّة تكفي لأن يكون ذلك الشخص نبياً ، وذلك لكون كلٍّ واحدٍ من هؤلاء الأنبياء الثلاثة يمتلك نبوَّة قويَّةً تعطيه حقَّ الشهادة على نبوَّة أيِّ شخصٍ ، لأنه لا يقول إلا الحق .

وإذا أردنا أن نعرف مدى قوة نبوة كل نبي من أنبياء التشريع الثلاثة بالنسبة للأنبياء العاديين ؛ جعلنا الخمس وعشرين علامة الأساسية الكافية للنبوَّة تعادل ١٠٠٪ ثم نسبنا إليها مقدار درجة نبوة كل نبي من أنبياء التشريع الثلاثة ، فيكون لدينا ما يلي :

٦٢× ١٠٠ / ٢٥ = ٢٤٨٪ فقوة نبوة محمدٍ ﷺ ٢,٤٨ نبوَّة عادية .

٤٧× ١٠٠ / ٢٥ = ١٨٨٪ فقوة نبوة موسى عليه السلام ١,٨٨ نبوَّة عادية .

٤٧ × ١٠٠ / ٢٥ = ١٨٨٪ فقوة نبوة المسيح عليه السلام ١,٨٨ نبوة عادية .

بناءً على ما تقدَّم فإنَّ قوة نبوة المسيح وموسى عليهما السلام متساويتان ، على الرغم من أنَّ كلَّ نبوَّة منهما تشكل أقل من ضعفي نبوة نبيٍّ عاديٍّ ، في حين أنَّ نبوة محمد ﷺ تعادل في قوتها قوة نبوتين ونصف تقريباً من نبوة نبيٍّ عادي .

وعلى ذلك فإنَّ محمداً ﷺ يمتلك أقوى نبوَّة عرفتها البشرية وإذا علمنا أنَّ النبوَّة القوية دائماً ترتبط بظهور دين قويٍّ بدليل قوَّة نبوَّة المسيح وموسى عليهما السلام مقارنةً مع غيرهم من الأنبياء على اعتبار أنَّ كلاً منهما صاحب تشريع جديد جاء للبشرية .

فإذا علمنا ذلك ؛ فإنَّ قوَّة نبوة محمد ﷺ وهو صاحب تشريعٍ جديدٍ ، ودينٍ جديد يجعل من محمد ﷺ صاحب دين متفوّقٍ على غيره من الأديان ، ويضعه هو في مرتبة سيِّد الأنبياء ، أو سيِّد المرسلين .

وهذا الاستنتاج يبدو صحيحاً ومنطقياً تماماً ؛ لأنَّه يتطابق مع مضمون الآية :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

وهكذا فإنَّ نبوة محمد ﷺ القوية أتت وفق ترتيب إلهي قدر لها هذه القوة ، وهذا التفوق بعيدٌ عن المصادفة ، أو العبث الذي لا يمكن أن تخضع له النبوَّة بأيِّ حالٍ من الأحوال .

* * *

النتيجة الثالثة

النبوَّة مرتبة عظيمة ليس عند الله مقامٌ للبشر أرفع منه

النبوَّة : هي أن يوحي الله إلى شخصٍ له مواصفات محددة ، فتظهر عليه علامات محدَّدة

استطعنا صياغة هذا التعريف البسيط والشامل من خلال القوانين التي استعرضناها سابقاً .

لكننا نستطيع أن نستنتج من خلال هذه الدراسة أنَّ النبوَّة شرفٌ كبيرٌ ، ومرتبة عالية لسببٍ بسيطٍ ، وهو أنَّ عدد الأنبياء الذين ظهروا للبشرية منذ آدم وحتى محمد ﷺ لا يتجاوز عددهم العشرات في حين أنَّ عدد أبناء آدم والذين انحدروا من نسله حتى يومنا هذا بلغ المليارات .

ويبرز مقدار شرف النبوَّة أيضاً إذا علمنا أنَّ محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء ، والذي لن يظهر نبيٌّ بعده ختم الله به بضع عشرات من الأنبياء ، في حين أنَّ عدد أبناء آدم الذي انحدر من نسله البشر وسينحدر إلى يوم القيامة سيبلغ أرقاماً فلكية لا يعلمها إلا الله .

فمرتبة النبوة أكبر من مرتبة العلماء ، وأكبر من مرتبة الملوك ، وأكبر من مرتبة الزعامة لقلة عدد الأنبياء وكثرة عدد العلماء ، والملوك ، والقادة ، والزعماء . هذا من جهة ومن جهةٍ أخرى فإنَّ مانح لقب النبوَّة هو الله ، بينما مانح ألقاب الباقين هم البشر!!!

فلا يجوز للناس إذاً أن يمنحوا لقب النبوَّة لأيِّ شخصٍ كائنٍ من كان ؛ لأنَّ ذلك اللقب لا يمنحه إلا الله بعد أن يجهِّز نبيَّه لهذا المنصب الرفيع .

لكنَّ اليهود نسبوا النبوَّة إلى بعض المحببين إلى قلوبهم ، بل وجعلوا وثنياً مثل قورش ملك الفرس مسيحاً منتظراً ، أو نبياً منتظراً ، وتجاوزوا الحدَّ عندما نعتوا عزرا كاتب التوراة بأنَّه « ابن الله » .

وعلى الرَّغم من أنَّ موسى عليه السلام لا يعترف لا هو ولا الأنبياء كلُّهم بهذا المقام الإلهي ، فإنَّ المسيحيين وقعوا في نفس أخطاء اليهود العقائدية ، فرفعوا المسيح إلى مرتبة « ابن الله » وجعلوا تلاميذه (أو ما اصطلحوا على تسميتهم تلاميذ) فوق مرتبة الأنبياء ، فأطلقوا عليهم اسم « الرسل » وهي مرتبة فوق النبوَّة كما يقصد بها آباء الكنيسة في حين أنَّ تطبيق قوانين النبوَّة السابقة الذكر على هؤلاء الرسل يجعلهم خارج إطار النبوَّة ، بل وفي أدنى درجات المؤمنين بالمسيح ؛ لأنَّهم كذبوا على المسيح ، وقوَّلوه ما لم يقل ، ونسبوا إليه ما لا يليق بنبوَّته .

ولابدَّ هنا من الإشارة إلى أن المسيحيين الأوائل قد اكتشفوا زيف ادعاءات هؤلاء « الرسل » وعلى رأسهم بولس .

ويعترف بولس في رسائله بفشله في إقناع أهل آسية ، وسورية ، والقدس بدعوته[1] .

وقد فشل بولس تماماً في إعطاء دليلٍ واحدٍ على رسوليته عندما طالبه أهل غيلاطية بأن يقدم دليلاً على أنَّه رسول المسيح[2] .

وقد انحرفت دعوة بولس تماماً عن دعوة المسيح عليه السلام ، مما

---

(١) غيلاطية (١ ، ٦).

(٢) غيلاطية (١ ، ١٦).

جعل تلاميذ المسيح عليه السلام الحقيقيين وإخوة المسيح عليه السلام نفسه يقفون صفاً واحداً في وجه دعوة بولس ، فراحوا يحاربون أفكاره ، ويكشفون للناس زيف دعواه الباطلة .

ويعترف بولس في رسائله بأنَّه على خلافٍ مع برنابا ، وبطرس ، ويعقوب[١] ، كما يعترف أيضاً بأنَّ كلَّ الذين اتبعوه في آسية قد تخلَّوا عنه لانحراف عقيدته[٢] .

وقد أصبحت دعوة بولس مكشوفةً تماماً عند أتباعه المقرَّبين ، فتركوه ، ويعترف بولس أيضاً : أنَّ ديماس ، وكركيس ، وتيطس ، وتيخيكس كلّهم سافروا ، وما وقف أحدٌ معه عندما دافع عن نفسه ، بل تركوه كلُّهم ، وحذَّر بولس تيموثاوس من إسكندر النحاس ، لأنَّه يعارضهما في أفكارهما[٣]!!!

وإنَّه من الغريب حقاً أن تتبع المسيحية تعليمات بولس على الرغم من وجود نصوصٍ في الأناجيل صريحةٍ ، وعلى لسان المسيح عليه السلام نفسه تحذرهم من بولس وأمثاله .

لقد حذَّر المسيح أتباعه من الأنبياء الكذابين قائلاً :

« إياكم والأنبياء الكذابين ، يجيؤونكم بثياب الحملان ، وهم في باطنهم ذئاب خاطفة »[٤] .

وقد حدَّد المسيح عليه السلام ثلاث علامات لمعرفة هؤلاء الأنبياء الكذابين :

---

(١) رسالة بولس إلى غيلاطية (٢، ١١ و١٢).
(٢) تيموثاوس الثانية (١، ١٥).
(٣) تيموثاوس الثانية (٤، ٩ـ١٦).
(٤) متّى (٧، ١٥).

العلامة الأولى : من ثمارهم تعرفونهم :

« ما من شجرة جيدة تحمل ثمراً رديئاً ، وما من شجرة رديئة تحمل ثمراً جيداً . كلُّ شجرة لا تحمل ثمراً جيداً تقطع ، وترمى في النار ، فمن ثمارهم تعرفونهم »[1] .

فالعلامة الأولى هي أنَّ ثمرة الإيمان هي الإيمان كما يكون ثمر التين تيناً ، أو ثمر الجفنة عنباً ، أما لو كان ثمر شجر التين شوكاً ؛ فقد ألزم المسيح عليه السلام أتباعه أن يحرقوا هذه الشجرة ؛ لأنها شجرة شيطانية .

العلامة الثانية : مخالفة الشريعة :

يقول المسيح عليه السلام : « من خالف وصيةً من أصغر هذه الوصايا ، وعلَّم الناس أن يعملوا مثله ، عدَّ صغيراً في ملكوت السموات ، وأمَّا من عمل بها ، وعلَّمها فهو يعدُّ عظيماً في ملكوت السموات »[2] .

العلامة الثالثة : قلة التقوى :

قال المسيح عليه السلام لأتباعه : « إن كانت تقواكم لا تفوق تقوى معلمي الشريعة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات »[3] .

وبناءً على ما ذكرنا سابقاً فإنَّ بولس انطبقت عليه كافة تحذيرات

---

(١) متَّى (٧، ١٨) ولوقا (٦ ، ٤٣).
(٢) متَّى (٥، ١٩).
(٣) متَّى (٥، ٢٠).

المسيح عليه السلام تماماً ، فقد دخل بين أتباع المسيح عليه السلام على أنَّه مؤمن « حمل » وهو في حقيقته « ذئب » وادَّعى أنه رسول (نبي) في حين أنَّ ثمرة إيمانه كانت أن قلب دعوة المسيح عليه السلام من عبادة الله إلى عبادة المسيح ؛ الذي جعله بولس (ابن الله) وبذلك كانت ثمرة إيمانه كفراً عوضاً عن أن تكون ثمرة إيمانه إيماناً .

هذا وإنَّ بولس أسقط عن نفسه وأتباعه العمل بالشريعة التي عدَّ المسيح عليه السلام المخالف لها صغيراً في ملكوت السموات ، فإذا أسقط بولس العمل بالشريعة فإنَّه لا يحقُّ له دخول ملكوت السموات ؛ لانعدام تقواه .

والجدير بالذكر أنَّ الفاتيكان نفسه قد اعترف بتجاوزات بولس التشريعية في عام ١٩٦٨ في كتاب نشره بعنوان (المسيحية عقيدة وعمل) : « كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح حديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع »[1] .

فإذا كان بولس على هذه الدرجة من سلم المخالفات لتعاليم المسيح عليه السلام ؛ فكيف يمكن أن يكون رسولاً ، إذا جاز لنا اعتباره مؤمناً أصلاً ؟!

* * *

(١) المسيحية ـ د. شلبي (ص ١١٤).

النتيجة الرابعة

المسيح عليه السلام نبيٌّ وليس إلهاً

رغم اختلاف مذاهب المسيحية في درجة ألوهية المسيح ، فإنَّهم يجمعون على أنَّه الأقنوم الثاني في الثالوث المقدَّس ، وقد اكتسب مرتبة الأقنوم الثاني لكونه « ابن الله » .

وعلى الرغم من أنَّ عبارة (ابن الله) هي البذرة التي زرعها بولس في الأناجيل وفي الفكر المسيحي بناءً على حادثة اهتدائه الواردة في سفر أعمال الرسل (٩ ، ٢٠) ، وعلى الرَّغم من أنَّ المسيح الذي ظهر له لم يكلفه بأن يبشر بأنَّه (ابن الله) بل إنَّ بولس راح يبشر من تلقاء نفسه بأنَّ المسيح (ابن الله) وعلى الرغم من أنَّ رواية بولس تحتاج إلى شهود وأدلَّة لكونها تحمل فكرةً غايةً في الخطورة .

على الرغم من ذلك كلِّه فإنَّ فكرة ألوهية المسيح قد تنامت في المسيحية لدرجةٍ كبيرة ، وأصبحت البذرة التي زرعها بولس شجرةً كبيرة كثيرة الأغصان ، والتشعبات ، والأشواك!!!

ولما كانت قصة اهتداء شاول (بولس) ليست كافية لإثبات أنَّ المسيح إله ؛ لذلك عكف مفكرو المسيحية إلى إيجاد أدلَّةٍ في الأناجيل تبين وتثبت ألوهية المسيح!!!

ولما كان القس منيس عبد النور من أشدِّ المدافعين عن ألوهية

المسيح ؛ لذلك فإننا سنورد دفاعاته عن ألوهية المسيح الواردة في كتابه : هل تجسد الله ؟

فقد أورد القس المذكور أدلةً من الأناجيل تؤكد تمتُّع المسيح بالصفات التالية :

١ـ الأزلية .

٢ـ مصدر الحياة خالقها ومبدعها .

٣ـ القدرة المطلقة على كل شيء .

٤ـ العلم المطلق بكلِّ شيء .

٥ـ الوجود الكلي الذي لا يحدُّه مكان ، ولا زمان .

٦ـ القدرة على الخلق .

٧ـ السلطان والحق في مغفرة الخطايا .

٨ ـ المسيح موضوع الصلاة والعبادة .

٩ـ الميلاد العذراوي للمسيح .

١٠ـ قيام المسيح من الموت .

١١ـ صعود المسيح إلى السماء .

١٢ـ جلوسه عن يمين عرش الله .

١٣ـ معجزات المسيح .

وبالطبع فإنَّ الكتاب يحوي العديد من الأفكار ، إلا أنَّنا عددنا ما يهم موضوعنا لتفنيد ادعاءات القس عبد النور ، ونورد الردَّ كما يلي :

١ـ يبني الكتاب فكرة أزلية المسيح على كلام يوحنا الذي لم ينسب هذا الكلام للمسيح بل لنفسه :

وهذا يعني : أنَّ المسيح لم يقل هذا الكلام ، ثمَّ إنَّ الكاتب لا يبدو أنَّه يفرق بين الأزلية والأبدية ، ففي حين أنَّ الأزلية تعني ما قبل الزمان إلى وقت خلق العالم ، والأبدية هي منذ الزمان إلى يوم القيامة . فإنَّ الكاتب استخدم عبارة أشعيا (أباً أبدياً) للدلالة على أزلية المسيح .

والحقيقة أنَّ الله خلق آدم وخلق أرواح ذريته كلَّها حتى يوم القيامة وأشهدهم على ربوبيته ، فالأرواح تنتظر يوم ولادتها حتى ظهور المسيح ، وهذه ليست صفة خاصة للمسيح .

٢ـ المسيح ليس قادراً على كل شيء :

إنَّ الله وحده هو الذي يفعل ما يريد ، أما المسيح عليه السلام فإنَّه نبيٌّ ، ولا يحقُّ له فعل شيء دون أن يأمره الله به ، وقد ورد في إنجيل مرقس ومتى اعترافٌ من المسيح نفسه بأنَّه لا يحقُّ له أن يتجاوز أوامر ربه فقال : « وأما الجلوس عن يميني أو عن شمالي ، فلا يحقُّ لي أن أعطيه ، لأنَّه للذين هيَّأه الله لهم »[١] .

فإذا كان المسيح إلهاً فلماذا لم يستطع أن يَعِد يعقوب ويوحنا بأن يقعدا بجانبه في الحياة البرزخية ؟!

وإذا كان المسيح قادراً على كل شيء ؛ فلماذا رفض أن ينزل آية من السماء عندما طلب منه ذلك الفريسيون ؟ فقد ورد في إنجيل مرقس وعند متى أنَّه :

---

(١) مرقس (١٠، ٤٠) ومتَّى (٢٠، ٢٣).

« وأقبل إليه بعض الفريسيين وأخذوا يجادلونه طالبين منه آية من السماء ليجربوه ، فتنهد من أعماق قلبه ، وقال : ما لهذا الجيل يطلب آيةٍ ؟ الحقُّ أقول لكم : لن يعطى هذا الجيل آيةً . وتركهم ورجع في القارب إلى الشاطىء المقابل »[1] .

فإذا كان المسيح إلهاً قادراً على كل شيء فلماذا لم يُعْطِ الفريسيين آية ؟

ولا يتوضح الجواب إلا في نبوة محمد ﷺ ، فعندما طلب المشركون من محمد ﷺ أن ينزل الله عليهم القرآن من السماء ، أو يكلمهم الله ، فيسمعون كلامه ، ردَّ الله تعالى عليهم في سورة البقرة حيث قال :

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2] [البقرة : ١١٨] .

في هذه الآية الكريمة يضع الله تعالى مقارنة بين منكرين لنبوتين ، فالمنكرون لنبوة محمد ﷺ أنكروا عليه أن يقول قرآناً ، فطلبوا منه أن ينزل القرآن من السماء كما أنزلت توراة موسى عليه السلام من السماء ، أو أن يكلمهم الله من السماء فيسمعون صوته ليصدقوا أنَّ القرآن من عنده .

كذلك طلب الفريسيون المنكرون لنبوة المسيح عليه السلام أن يقول الإنجيل بفمه ، فطلبوا منه أن ينزل الإنجيل من السماء كما أنزلت توراة موسى عليه السلام من السماء ، أو أن يكلمهم الله فيسمعون صوته ليصدقوا أنَّ الإنجيل من عنده .

---

(١) مرقس (٨، ١١)، ومتّى (١٦، ٤).

(٢) سيرة ابن هشام (ج٢، ص١٧١).

ولكن المسيح عليه السلام رفض إعطاءهم آيةً ؛ لأنَّ الأمر ليس في يده ، فهو نبيٌّ مثل محمد ﷺ ، ولا يملك القرار في ذلك .

٣ـ ليس المسيح خالقاً ولا مبدعاً لأيِّ شيءٍ :

قد اعتمد الكاتب على كلام يوحنا الذي منح المسيح القدرة على الخلق والإبداع ، ولم يرد على لسان المسيح أنَّه خالق ، أو مبدع ، وعبارة (أنا هو القيامة والحياة) الواردة في يوحنا[١] تعني : أنَّ المسيح باتباع تعاليمه ستكون الحياة الأبدية يوم القيامة .

على الرغم من ذلك فإنك لا تجد في الأناجيل كلِّها حادثةً واحدة تدلُّ على أنَّ المسيح قد خلق شيئاً أو أبدع شيئاً!!

وإذا كان الخلق هو إحداث الشيء من العدم ، فما الذي خلقه المسيح ولم يكن موجوداً أصلاً ؟

إنَّ المسيح لم يخلق أيَّ شيءٍ ؛ لأنَّ الخلق قدرةٌ من قدرات الله التي احتفظ الله بها لنفسه .

٤ـ المسيح عليه السلام لا يعلم كلَّ شيء :

اعتمد الكاتب في فكرته على مقولة يوحنا التي وصف فيها المسيح إبَّان اعتقاله بأنَّه : « فتقدم يسوع وهو يعرف ما سيحدث له »[٢] .

فإذا لاحظنا أنَّ العبارة هي على لسان يوحنا وليست على لسان المسيح ، وإذا لاحظنا أنَّ المسيح كان على علمٍ بما سيحدث له ، فإنَّ ذلك لا يعني أبداً أنَّ المسيح عليه السلام قد ادعى أنَّه يعرف كلَّ شيءٍ أبداً .

---

(١) يوحنا (١١، ٢٥).

(٢) يوحنا (١٨، ٤).

فالمسيح عليه السلام لم يتحدث أبداً في الأناجيل عن أنَّه يعلم علماً مطلقاً في كل شيءٍ ، بل على العكس تماماً فإنَّ الأناجيل تتضمن اعترافاتٍ صريحةً من المسيح عليه السلام تؤكِّد عدم معرفته المطلقة لكلِّ شيءٍ .

فقد أقرَّ المسيح عليه السلام بأنَّ موعد يوم القيامة لا يعرفه أحد سوى الله وحده : « أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد ، لا ملائكة السموات ولا الابن إلا الآب وحده »[1] .

وهذا اعترافٌ صريحٌ وواضحٌ وقويٌّ أكَّده ثلاثة من كتبة الأناجيل ، وأوردوه على لسان المسيح عليه السلام نفسه ، وهذا يعني : أنَّ المسيح عليه السلام على الرغم من علمه بأمورٍ غيبية كثيرة إلا أنَّه قطعاً لا يعلم علماً مطلقاً بكل شيء .

٥ـ لا يتمتَّع المسيح بصفة الوجود الكلِّي الذي لا يحدُّه زمان ولا مكان :

يعتقد الكاتب منيس عبد النور : أنَّ المسيح يتمتَّع بقدرةٍ على التواجد في كل الأمكنة وكلِّ الأزمنة في وقتٍ واحد ، وهذا ما دعاه إلى الاستنتاج بأنَّ المسيح إله ، فإذا ما وافقناه فرضاً على مقولته ؛ فإن وقائع الأناجيل تتناقض مع مقولته تماماً ، وبشكلٍ قطعيٍّ !!

وذلك لأنَّ المسيح عليه السلام نظراً لعدم مقدرته على التواجد في عدة أمكنة في وقتٍ واحدٍ ، فإنَّه استعان بتلاميذه لإرسالهم إلى قرى متفرقة ، وذلك ما أكدته الأناجيل : متَّى (١٠ ، ٥) ، ومرقص (٦ ، ٧) ، ولوقا (٩ ، ١) .

فلو كان المسيح يتمتَّع بالمقدرة على التواجد في عدَّة أمكنة في زمنٍ

---

(١) متَّى (٢٤، ٣٦)، ومرقس (١٣، ٣٢)، ولوقا (١٧، ٢٠).

واحدٍ على الأقل ؛ لما كان بحاجة إلى إرسال تلاميذه للتبشير بالمسيحية!!!

فإذا انتفى عن المسيح مقدرته على التواجد في كل الأمكنة في زمنٍ واحدٍ ، فإنَّ ذلك يعني استحالة مقدرته على التواجد في كلِّ الأمكنة وفي كل الأزمنة في آنٍ واحدٍ!!!

٦ـ ليس المسيح قادراً على الخلق :

إذا عرفنا أنَّ الخلق هو المقدرة على إحداث شيءٍ من العدم ، فإنَّه عند ذلك يصعب علينا قبول وجود أكثر من خالقٍ واحد لكلِّ شيءٍ في هذا الكون ، مهما تنوعت عناصر هذا الكون .

فإذا كانت الأناجيل كلُّها لم تورد حادثةً واحدة على الأقل تثبت أنَّ المسيح قد خلق شيئاً من العدم ، فإنَّ ذلك يؤكِّد خطأ الاعتقاد بفكرة إمكانية مقدرة المسيح على الخلق .

وإذا تنازلنا عن تعريف الخلق الذي يقول : إنَّ الخلق هو إحداث شيءٍ من العدم فإنَّ علينا أن نقبل بأنَّ الإنسان المبتكر ، أو المخترع ، أو المكتشف لأيِّ شيءٍ مادِّيٍّ هو خالق ، وبالتالي فإنَّ هؤلاء يجب أن نصنفهم ضمن مرتبة الآلهة ، وفي هذه الحالة يتساوى هؤلاء مع مرتبة المسيح في الألوهية!!!

وبالطبع فإنَّ مقدرة المسيح على الخلق ليست حقيقية ؛ لأنَّ الأناجيل لم تتحدث عنها أبداً ، وليست منطقية لتناقضها مع حقيقة الخلق ، وليست واقعية لأنَّها مبنية على أوهامٍ ، ورغباتٍ لا أساس لها من الواقع .

فالواقع كلُّه يشير إلى أنَّ المسيح كان كائناً بشرياً بكل معنى الكلمة ، ابتدأ من بطن أمِّه التي حملت به ، ثم ولدته كما تلد باقي النساء أولادها ، كما أكَّد ذلك إنجيل لوقا . فالمسيح إذاً مخلوقٌ وليس خالقاً أبداً .

٧ـ لا يملك المسيح المقدرة على مغفرة الخطايا :

إذا ما سلَّمنا جدلاً أنَّ المسيح يمتلك الحقَّ في مغفرة الخطايا ، فلماذا إذاً سيتنصل المسيح يوم الحساب من هؤلاء الأشرار المؤمنين به ؟

ورد في إنجيل متى وإنجيل لوقا ما يلي :

« سيقول لي كثير من الناس في يوم الحساب : يا رب! يا رب! أما باسمك نطقنا بالنبوءات ؟ وباسمك طردنا الشياطين ؟ وباسمك عملنا العجائب الكثيرة ؟ فأقول لهم : ما عرفتكم مرَّةً . ابتعدوا عني يا أشرار! »[١] .

نستطيع أن نستنتج من هذه العبارة أنَّ هؤلاء الأشرار هم المؤمنون بألوهية المسيح ، وأنَّهم يشكلون عدداً كبيراً من الناس الآخرين أتباع الأنبياء الآخرين والأمم الأخرى ، كما تؤكِّد ذلك عبارة لوقا : « ويكون البكاء وصريف الأسنان ، حين ترون إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأنبياء كلَّهم في ملكوت الله ، وأنتم في الخارج مطرودون! وسيجيء الناس من المشرق والمغرب ، ومن الشمال والجنوب ، ويجلسون إلى المائدة في ملكوت الله . فيصير الأولون آخرين ، والآخرون أولين »[٢] .

هكذا فقد وصف المسيح نفسه أولئك الذين سيلتجئون إليه يوم القيامة ، والذين اعتقدوا بألوهيته بأنَّهم أشرارٌ ، وأنَّ مصيرهم الطرد يوم القيامة من الجنة ملاذ الأنبياء والمؤمنين القادمين من الشرق ، والغرب ، ومن كل الأماكن ، وكل الأزمنة!!

ولا نستطع فهم هذه الفكرة إلا عند استعراض هذا الموقف نفسه كما ورد وصفه في القرآن الكريم في سورة المائدة ، حيث قال الله تعالى :

---

(١) متّى (٧، ٢٢ و٢٣)، ولوقا (١٣، ٢٥ و٢٦).
(٢) لوقا (١٣، ٢٦).

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة ١١٦ـ ١٢٠] .

٨ ـ المسيح ليس موضوع الصلاة والتعبُّد المسيحي :

بغضِّ النظر عن طريقة التعبُّد والصلاة المسيحية الحالية ، فإنَّه كان من الواجب أن تكون عبارات الصلاة وكيفيتها وأوقاتها منطلقةً من خلال الطريقة والأوقات التي كان المسيح عليه السلام يؤدِّي الصلاة بها في أوقاتها المحددة .

فإذا كان المسيح يؤدِّي الصلوات إلى الله الذي هو موضوع عبادة وصلاة المسيح نفسه ، والذي أمر أتباعه بأدائها في مرات عديدة ، وألزمهم بقول نصها كما يلي :

« فصلوا أنتم هذه الصلاة : أبانا الذي في السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك في الأرض كما في السماء ، أعطنا خبزنا اليومي ، واغفر لنا ذنوبنا كما غفرنا نحن للمذنبين إلينا ، ولا تدخلنا في التجربة ، لكن نجِّنا من الشر »[1] .

وإذا علمت أنَّ المسيح الذي يتكلم الآرامية لفظ كلمة (آب) بالآرامية التي تعني (إله) في حين أنَّ كلمة (أب) بالهمزة تعني أبو الولد ، فإذا كانت الكلمة واردة بالمدَّة ؛ فإن ذلك يعني أنَّ موضوع العبادة والصلاة في

---

(١) متّى (٦، ٩ـ ١٣)، ولوقا (١١، ٢ـ ٤).

تعاليم المسيح هو الله ، وليس المسيح أبداً .

وإذا حوَّل بعض المفكرين موضوع العبادة والصلاة من الله إلى المسيح بناءً على سجود المجوس له ؛ وسجود السامرية ، وسجود بعض تلاميذه له ، فماذا يمكن أن يقول أمثال هؤلاء المفكرين المسيحيين في غسل المسيح لأرجل تلاميذه ؟

فإذا كان غسَّال الأرجل في العصور كافة هو أقلُّ الناس مرتبةً ، فكيف يمكن أن نقبل أن غسَّال الأرجل هو الذي سجد له أولئك التلاميذ ؟

لقد أدهش غسل الأرجل من قبل المسيح تلامذة المسيح نفسه ، لدرجة اضطر معها المسيح إلى تفسير عملية غسيل الأرجل لهم قائلاً :

« أتفهمون ما عملته لكم ؟ أنتم تدعونني معلماً وسيداً ، وحسناً تفعلون لأني هكذا أنا »[1] .

وهكذا نستطيع أن نفهم أنَّ المسيح بادر إلى غسل أرجل تلاميذه حتى يطرد من ذهن تلاميذه فكرة ألوهيته التي ربما جعلتهم يسجدون له ، ولفت أنظارهم إلى أنَّه هو فقط معلِّمهم ، وسيِّدهم ، ولا يحقُّ لهم أن يرفعوه فوق هذه المرتبة أبداً .

٩ـ المسيح ليس إلهاً لأنَّه دون أبٍ فيزيولوجي :

إنَّ حدوث العقم في بعض بني البشر ، واقتصار مواليد البعض على الذكور ، واقتصار مواليد البعض على الإناث ، كلُّ ذلك يؤكد أنَّ تكاثر الإنسان يتمُّ ضمن دائرة الإعجاز الإلهي الذي بدا للناس وكأنَّه أمرٌ عاديٌّ يحدث بتلقائيةٍ عاديَّة .

وهذا خطأٌ فادحٌ ؛ لأنَّ الولادة العاديَّة هي معجزةٌ إلهية دون أدنى

---

(١) يوحنا (١٣، ١٢).

شكٌّ ، ودليل ذلك : العقم وعدم المقدرة إلا على إنجاب نوعٍ واحدٍ من المواليد أعني : إنجاب ذكورٍ أو إناثٍ!!

ومع ذلك فإنَّ معجزات الخلق عند الأنبياء اتخذت اتجاهاً إعجازياً أقدر وأقوى على الدلالة والبيان .

فلقد خلق آدم دون أبٍ ، ولا أمٍّ ، وخلقت حواء من رجلٍ ، وخلق إسماعيل من أمٍّ شابة وأبٍ عجوز عقيم ، وخلق إسحاق من أبوين عجوزين عقيمين ، وكذلك يوحنا (يحيى) وبدوره خلق الله المسيح عليه السلام من امرأة شابة دون أبٍ .

وحتى لو خلق المسيح من أمٍّ عقيمة عجوزٍ دون أب ، وهي معجزة أقوى من معجزة خلق المسيح من أمٍّ شابةٍ دون أب ، فإن ذلك لا يعطي للمسيح صفة الألوهية ، فلو جازت هذه المرتبة للمسيح ؛ لكان آدم أحقَّ بهذه المرتبة منه ؛ لأنَّه خلق دون أبوين أصلاً .

هذا وإنَّ خلق باقي الكائنات الحيَّة لا يقل إعجازاً عن معجزة خلق الإنسان ككل .

وقد أورد الله تعالى في القرآن الكريم معجزة خلقٍ أضخم من معجزة خلق الأنبياء كافة الذين خلقوا بمعجزة .

حيث يروي القرآن الكريم أنَّ نبيَّ الله (صالح) طلب منه قومه معجزة حسِّيَّة من الله تعالى تدلُّ على أن الله قد أرسله نبياً إليهم ؛ شريطة أن تجري هذه المعجزة على مرأىً ومسمعٍ منهم .

وبالفعل خرج قوم صالح إلى طرف القرية حيث استدعاهم نبيُّهم صالحٌ ليشهدوا حدوث المعجزة ، وما كان إلا أن دعا صالحٌ عليه السلام ربَّه حتى خرجت من صخرة كبيرة من الجبل ناقةٌ ضخمة ، وتبعها جملٌ صغير وراءها . . . !!!

وهكذا خلق الله من الصخرة ناقة وابنها دون ولادة ، ولا ألمٍ ، ولا توالدٍ ، بل وقد كان للناقة ابن دون أن تلده .

فإذا جاز للمسيح أن نعتبره إلهاً فإنَّ قائمة الألوهية المزعومة يجب أن تتصدرها ناقة صالح ، ثم آدم ، ثم حوَّاء ، ثم إسحاق ، ثم زكريا ، ثم إسماعيل ، ثم المسيح!!!

١٠ـ المسيح ليس إلهاً لأنَّه قام من الموت :

تعتقد المسيحية أنَّ قيامة المسيح من الموت لم تحدث إلا لكون المسيح إلهاً ، وهذا غير صحيح أبداً ؛ لأنَّ إقناعنا بهذا المبدأ يوجب علينا الإيمان بألوهية العازر ؛ الذي أقامه المسيح من الموت بعد ثلاثة أيام ، كما يوجب علينا الإيمان بألوهية ابن الأرملة الصيداوية الذي أحياه إيليا[١] ، كما يجب علينا الإيمان بألوهية ابن الشونمية الذي أحياه اليشع[٢] .

فإذا كان المسيح إلهاً لأنه قام من الموت ، فابن الصيداوية وابن الشونمية جديرون بهذه الألوهية ، وإذا كان المسيح إلهاً لأنَّه أحيا الميت ؛ فإنَّ المسيح يتساوى بالألوهية مع إلياس واليشع . وهذا غير صحيح بأيِّ وجهٍ من الوجوه .

١١ـ صعود المسيح إلى السماء لا يجعله إلهاً :

إذا جاز لنا اعتبار المسيح إلهاً لأنَّه صعد إلى السماء ، فإنَّه يتوجب علينا الاقتناع بألوهية أخنوخ الذي صعد إلى السماء قبل المسيح ، وقبله إيليا الذي صعد إلى السماء بعد أخنوخ ، وقبل المسيح .

---

(١) الملوك الأول (١٧ ، ١٩).

(٢) الملوك الثاني (٤ ، ٣٦).

وإذا كان أخنوخ ، وإيليا ، والمسيح قد صعدوا جميعهم إلى السماء ، ولم ينزلوا ، فإنَّ محمداً ﷺ قد صعد إلى السماء ، ثم نزل منها حيّاً أيضاً .

وبذلك فإنَّ محمداً ﷺ صاحب استحقاق الألوهية الأجدر ، وهذا غير صحيح لأنَّ جميع هؤلاء أنبياء ، وحسبهم مقام النبوة شرفاً .

١٢ـ ليس المسيح إلهاً لأنه جلس على يمين عرش الله :

عرش الله لا أحد يعرف شيئاً عنه في جميع النبوات ، فالمعروف أنَّ هناك عرش لله ، لكن لا أحد يعلم شيئاً عنه من حيث موقعه ، ولا كينونته وماهيته ، كما أنَّ أحداً لا يعلم شيئاً عن يمينه ، ولا عن شماله .

لكن مرقس وحده من بين كتبة الأناجيل هو الذي جعل المسيح يجلس على يمين عرش الله ، دون أن يسند كلامه إلى فم المسيح[1] .

إنَّ كلاماً مستنداً إلى رأي كاتب من الكتبة دون أن ينطق به المسيح ليس سبباً منطقياً يدعو إلى الاعتقاد بألوهية المسيح ، طالما أنَّ المسيح نفسه لم يقر بهذا الموقع على الأقل!!!

هذا من جهةٍ ومن جهةٍ أخرى فإنَّ موقع يمين عرش الله لا يعطي المسيح أيَّ حقٍّ في الألوهية ؛ لأن الله على عرشه هو الإله الوحيد بغضّ النظر عمَّن سيجلس عن يمينه أو شماله!!!

ومسألة الجلوس على يمين العرش ليس لها أي قيمة طالما أنَّ المسيح لم يعتل العرش ؛ لأنَّه غير قادر على ذلك ، وبناءً عليه فإنَّ المسيح لا يمتلك الحقّ بالألوهية!!!

---

(١) مرقس (١٦، ١٩).

١٣ـ المعجزات الحسيّة ليست دليلاً على ألوهية أحد :

على الرغم من أنَّ المعجزات الحسِّيَّة خوارق لما ألفه البشر ؛ فإنها تمتلك في حدِّ ذاتها دليلاً على أنَّ من جرت المعجزة على يديه لا يمتلك أسباب الاستمرار في المعجزة ، لأنَّ المعجزات محدودةٌ الأطر!!

فلقد أحيا المسيح عليه السلام الميت لكنَّه لا يستطيع إحياء جميع الأموات ، كما أنَّه شفى الكثير من المرضى ، لكنَّه لم يشف مرضى عصره كافة ، ومشى مرَّةً على الماء ، لكنَّه ليس في كلِّ مرَّةٍ مشى على الماء ، بل كان يركب قارباً ، وحوَّل الماء إلى خمرٍ ، ولم يحول الماء في كل مرَّةٍ إلى خمر ، فقد غرف من البحيرة وشرب دون أن يتحوَّل ماء البحيرة إلى خمر ، وكثَّر الطعام مراتٍ عديدة ، لكنه لا يستطيع أن يكثر الطعام في كلِّ مرَّة ، فعندما احتاج عشاء الفصح أرسل أحد تلاميذه إلى شخص من أتباعه طالباً منه إعداد العشاء ، وإذا رغب بالصعود إلى السماء فإنَّ عودته إلى الأرض لن تتم وفق رغبته ، بل وفق رغبة ربه!!

فالمعجزات دليل على النبوة ، وليست دليلاً أبداً على الألوهية ، فلقد ورد عند لوقا : « وكانت قدرة الربِّ تشفي المرضى على يده »[١] .

١٤ـ اعتراف المسيح بوحدانية الله ينفي عن المسيح صفة الألوهية :

لقد ورد في الأناجيل اعترافات كثيرة على لسان المسيح تؤكد أنَّ المسيح كان يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد ، منها :

« الرب إلهنا هو الربُّ الأحد . فأحبَّ الرب إلهك بكلِّ قلبك ، وكلِّ نفسك ، وكل فكرك ، وكل قدرتك »[٢] .

---

(١) لوقا (٥، ١٧).

(٢) مرقس (١٢، ٢٩).

وأقرَّ المسيح عليه السلام أيضاً بأنَّه رسول من عند الله ، فقال : « ما تعليمي من عندي ، بل من عند الذي أرسلني . إذا أراد أحدٌ أن يعمل بمشيئة الله عرف هل هذا التعليم من عند الله أو إنِّي أتكلم من عندي »[1] .

فإذا كان المسيح عليه السلام يعترف بأنَّ الله واحدٌ ، وهو الذي أرسله فكيف نقبل أن يكون المسيح إلهاً أرسل نفسه ؟!!

١٥ـ اعتراف المسيح بأنَّه نبيٌّ وشهادة بعض أتباعه له بالنبوَّة ينفي عنه صفة الألوهية :

ورد في الإنجيل اعترافٌ صريحٌ من المسيح على أنَّه نبيٌّ مرسل : « ولكني يجب أن أسير في طريقي اليوم ، وغداً ، وبعد غدٍ ؛ لأنَّه لا يجوز أن يهلك نبيٌّ في خارج أورشليم »[2] .

وقد اعترف بعض أتباعه أنَّه نبيٌّ ، كما جاء في إنجيل لوقا : « ما حدث ليسوع الناصري وكان نبيّاً قديراً في القول والعمل عند الله والشعب كله »[3] .

١٦ـ امتلاك المسيح عليه السلام لسبعةٍ وأربعين دليلاً على نبوته في حين أنَّ الأدلة على الألوهية ضعيفةٌ جداً لا يمكن قبولها في حالٍ من الأحوال :

أظهرنا في دراستنا : أنَّ المسيح عليه السلام يمتلك سبعة وأربعين دليلاً على نبوته ، والتي اتصفت بالقوَّة مقارنةً مع نبوة الأنبياء العاديين في حين أنَّ كلَّ دليلٍ يقدَّم على ألوهية المسيح تجده ضعيفاً واهياً ، لا يستطيع الثبات أمام الحجج والبراهين القوية الدَّالة على نبوته .

* * *

---

(١) يوحنا (٧، ١٦).
(٢) لوقا (١٣، ٣٣).
(٣) لوقا (٢٤، ١٩).

النتيجة الخامسة

محمد ﷺ لا يمكن إلا أن يكون نبياً

محمد ﷺ رسول الله ، وليس مصلحاً دينياً ، ولا اجتماعياً ، ولا سياسياً ، ولا دينياً ، ولا هو صاحب رأيٍ ولا فلسفة .

أظهرت دراستنا السابقة أنَّ محمداً ﷺ صاحب أقوى نبوَّة على الإطلاق ، حيث بلغت قوة نبوته حوالي نبوَّتين ونصف عاديتين ، وزادت قوة نبوته على نبوة المسيح عليه السلام بمقدار ٣١٪ وعلى قوة نبوة موسى عليه السلام بمقدار ٣١٪ فاستحق بذلك لقب سيِّد المرسلين ، وسيِّد النبيين .

وعلى الرغم من أنَّ نبوة محمد ﷺ قد أحدثت تغيراً جذرياً في البنية الاجتماعية والسياسية والدينية للمجتمع العربي ، إلا أنَّ محمداً ﷺ ليس هو صاحب رأيٍ وفلسفةٍ ، ولا مصلحاً اجتماعياً ، ولا دينياً ، ولا سياسياً!!!

أولاً ـ ليس محمد ﷺ صاحب رأي وفلسفة :

إنَّ الفلسفة أو علم الكلام غالباً ما ينشأ أصحابها وسط مجتمعات قطعت أشواطاً في الحضارة ، وتلك الخصوصية لا تنطبق على بيئة الجزيرة العربية .

بل على العكس تماماً إنَّ ظهور الحكمة في بيئةٍ أميَّة صحراوية بدوية بدائية حضارياً ؛ يؤكِّد أنَّ الحكمة ما كانت لتظهر لولا تدخل قوى خارقة للطبيعة ، ويؤكد ذلك أنَّ مثل هذه الحكمة التي جاء بها محمد ﷺ لم تظهر في بيئاتٍ بدائية مماثلة مثل : أستراليا ، وأمريكا ، وأواسط إفريقية ، وأواسط الصين ، بل وأوربة نفسها .

هذا من جهة ومن جهةٍ أخرى فإنَّ الفلاسفة أنفسهم أول الناس خرقاً لما دعوا إليه دائماً ، ومحمد أكثر الناس التزاماً بما كان يدعو إليه ، لدرجة أنَّه لا يستطيع أحدٌ من المسلمين أن يؤدي واجبات الإسلام كما كان يقوم هو بها ﷺ .

والفلاسفة كلُّ واحدٍ منهم يعطي رأياً ، ومهما قدَّم عليه من براهين فإنَّه سيأتي فيلسوفٌ آخر يدحض نظريته ورأيه ، طال الزمان أم قصر . . .

أمَّا محمدٌ ﷺ فما يقوله هو ما أراد الله أن يوصله إلى البشر على لسانه ، وكلام الله ثابت ، وكلام البشر عرضة للتغيير والتبديل .

ثم إنَّ التعرض للقتل ، والحصار ، والنفي ، والرَّجم ، والشتم ، والتسفيه ، والتكذيب . . . ألا يكفي كل هذا لردع أيِّ صاحب فلسفةٍ عن فلسفته ، إذا كانت ثمرتها ممارسة كل هذه الضغوط عليه ؟

طبعاً لا يمكن لشخص إلا أن يتراجع إلا إذا كان نبياً ؛ فإنه لا يستطيع التراجع لأنَّ الأمر لا يخصه ، بل يخصُّ الذي أرسله .

لقد كان أبو طالب سيد بني هاشم هو الذي أعلن حماية ابن أخيه محمد ﷺ ، فإذا حاولت قريش المساس بابن أخيه فإنَّ ذلك يعني حرباً أهلية ضمن قبيلة قريش ، وهذا ما كانت قريش تتحاشاه ، لذلك حاولوا الضغط على أبي طالب ليضغط بدوره على محمد ﷺ فيكفَّ عن دعوته ، وبدوره ذهب أبو طالب إلى محمد ﷺ ليعلمه ، بأنَّ قريشاً هددته

بالحرب ، وأنَّ دعوته أصبحت خطيرةً ، وعليه أن يكفَّ عنها ، فقال له : « يا بن أخي! إنَّ قومك قد جاؤوني ، فقالوا لي كذا وكذا ، للذي قالوا له فأبق عليَّ وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر مالا أطيق ، فظنَّ رسول الله : أنَّه قد بدا لعمه فيه بداء (ظاهرة) أنَّه خاذله ومسلمه ، وأنَّه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال رسول الله : يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك ، ما تركته ، ثم استعبر رسول الله ، فبكى ، ثم قام ، فلما ولَّى ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل يا بن أخي ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ ، فقال : اذهب يا بن أخي ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيءٍ أبداً »[1] .

هكذا نرى أنَّه لو كان الأمر بيد محمدٍ ﷺ لتراجع ؛ لأنَّ رأيه يعني هلاك أسرته في حربٍ مع قريش عائلته الكبيرة أيضاً . . .

لكن قريشاً أوجدت حرباً من نوع آخر هو ما يعرف اليوم بالحصار الاقتصادي ، مضافاً إليها حصارٌ اجتماعيٌّ ، حيث تعاهد أكابر قريش على مقاطعة بني هاشم جميعهم ـ علماً بأنَّ أغلبية بني هاشم كانوا لا زالوا مشركين ـ فلا بيع لهم ، ولا شراء منهم ، ولا تزويج ، ولا زواج ، وكتبوا تعاهدهم هذا ووضعوه في جوف الكعبة حتى يكون لهذه الوثيقة صفة القداسة!!

فترك بنو هاشم مكة واستقروا في شعاب (جبال) مكة يعانون الجوع ، والعطش وصعوبة الحياة . . . وبقي الحال كذلك ثلاث سنوات[2] . . .

---

(١) سيرة ابن هشام (ج١ ، ص١٦٥).

(٢) سيرة ابن هشام (ج٢ ، ص٢٣).

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبه فاجتمعوا عليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب (عبد العزى بن عبد المطلب) إلى قريش فظاهرهم[1] .

وبعد ثلاث سنوات عصيبة : « تقدَّم رسول الله إلى عمه ، وقال : يا عم! إنَّ الله ربي قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان ، فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش! إنَّ ابن أخي أخبرني بكذا وكذا ، فهلم صحيتكم ، فإن كان كما قال ابن أخي ، فانتهوا عن قطيعتنا ، وانزلوا عما فيها ، وإن يكن كاذباً دفعت إليكم ابن أخي ، (وهذا هو ما كانت قريش تحلم به) ، فقال القوم : رضينا ، فتعاقدوا على ذلك ، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ ، فزادهم ذلك شراً ، فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا »[2] .

أيُّ فيلسوف هذا الذي يجعل عشيرته عرضةً للهلاك ، ولا يتراجع إذا كان ما يقوله رأياً تعدت عقوبته إلى عشيرته ، ثم لا يتراجع ؟ ؟

وعندما وجدت قريش أن حصارها لم يجد نفعاً مع محمد ﷺ لجؤوا للضغط على العبيد والفقراء ، وقليلي الحسب والنسب ؛ الذين يسكنون مكة .

فراح كل مشرك يعذب المسلمين الذين تحت سيطرته حبساً ،

---

(١) سيرة ابن هشام (ص٥).

(٢) سيرة ابن هشام (ج٢ ، ص٥ و٢٣).

وضرباً ، وجوعاً وتعطيشاً لعلَّهم يتراجعون عن دين الإسلام ، وكان من بين الشهداء سميَّة وزوجها ياسر ، ومن أشدِّ الناس تعذيباً ذلك المؤمن الصابر الرائع بلال الحبشي . . .

كان رسول الله يمرُّ بهم وهم يعذبون فيضيق صدره حزناً ، ولا يجد لهم إلا أن يدعو الله ليفرج عنهم . . . فلو كان محمد ﷺ فيلسوفاً أما توجب عليه أن يتراجع ليوقف تعذيب الناس ؟ بلى لو كان فيلسوفاً لتراجع عن فلسفته ، لكنه نبيٌّ يدعو إلى عبادة الله ، وما عليه إلا أن يصبر هو وأتباعه .

ثانياً ـ محمد ﷺ ليس مصلحاً اجتماعياً :

ربما اعتقد بعضهم جهالةً أو عداوةً أنَّه ﷺ ربما كان مصلحاً اجتماعياً ، ولكي نرد هذا الادعاء لابدَّ من رسم صورة حقيقية لوضع الجزيرة العربية إبَّان بعثته ﷺ :

أ ـ وضع العبيد عند العرب :

تختلف معاملة العبيد عند العرب عن معاملة غيرهم من الأمم لعبيدهم ، حيث إن العربيَّ يخاف على سمعته كسيِّدٍ بين قومه ، لذلك فإنَّه لا يترك مجالاً لعبد يعيش معه أن يُشَهَّر به بين الناس ، وذلك عن طريق إشباع العبد ، والعناية به ، وإكرامه ، واكسائه كسوة تليق بسيِّده الذي يملكه ، هذا من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى فإنَّ الأعراف العربية تقضي بأن لا يسعى أحد إلى إهانة عبدٍ لأنَّ ذلك يعني إهانة سيِّده ، وإلا لكانت هذه الإهانة اللاحقة بمالك العبد تستحق إراقة الدماء لغسل العار الذي لحق بمالك العبد .

لقد كانت العرب تعترف بحقِّ العبد في المأكل ، والملبس ، والراحة

الكافية بعد العمل وحق الزواج وحرية الاعتقاد وحرية ممارسة العبادة ، حيث إن أغلب العبيد لديهم كانوا من الروم المسيحيين أو الفرس المجوس .

وقد لجأ العرب إلى أسلوبٍ مقبولٍ لدفع عبيدهم للعمل بإخلاصٍ واجتهادٍ ، وذلك عن طريق المكاتبة ، والمكاتبة هي كتابة عقد بين السيد المالك وعبده المملوك يقضي بأن يتحرَّر العبد إذ ما قدَّم لسيده مبلغاً محدداً يؤديه إلى سيده عن طريق عملٍ يؤديه إلى سيده أو إلى غيره من الناس إذا كان هذا العمل يقدم خدمةً عامة مثل البناء ، أو النجارة ، أو الحدادة ، ومثال ذلك خبَّاب بن الأرت ، أو أن يوكل إلى العبد مُهمةً محددةً مثل ما أوكلت هند بنت عتبة إلى عبدها وحشي مهمة قتل حمزة بن عبد المطلب حيث أعتق بعد أن نفذ مهمته ، أو مثلما وَعدَ شدَّاد عنترة قائلاً « كرَّ وأنت حر » عندما كان الموقف يستدعي مقاتلاً مغواراً ، فقاتل عنترة بشراسةٍ مدافعاً عن قبيلة عبس فتحرر من العبودية ، وعلى الرغم من أنَّ عادات العرب لا تدفع العبيد إلى الحرب إلا أنَّه كان من العرف أيضاً وجوب تحرير العبد الذي يـتـبـل في الدفاع عن قبيلة سادته في حال غيابهم عن المضارب ، حيث إنَّ وظيفة العبيد هي حماية الأطفال والنساء إبَّان غياب الرجال ، ومكافأة العبد الذي يـتـبـل دفاعاً عن عائلاتهم هو التحرير والإعتاق . وقد تكون المكاتبة بين العبد وسيده استغلالاً لموهبة العبد ، حيث يتوجّب عليه تقديمها بأمانة لينال حريته ، مثلما فعل صهيب الرومي الذي تاجر لسيده بأمانة فزادت مكاسب سيِّده ، فأعطاه حريته واتخذه ابناً بالتبني يرثه ويورثه ، وتلك هي حقوق التبني عند العرب .

ولم يُعرف عند العرب عبيدٌ تحرروا وعادوا إلى أقوامهم وبلادهم ، إنَّما يبقون بالقرب من أسيادهم ويصبحون (موالي) أي معتقين أحرار ، لا ينتمون بأنسابهم إلى تلك القبيلة ، لكن لهم حقوق أفراد القبيلة ،

وعليهم واجباتهم . وقد كان من هؤلاء الكثير ، فليست المكاتبة هي الطريق الوحيد للتحرر ، إنما أيضاً بعض العرب التي تعتبر تحرير العبيد سمةً من سمات الشهامة العربية مثلما أطلق الرسول محمد ﷺ قبل بعثته العبد الذي وهبته له زوجه خديجة فأعتقه ﷺ ، وتبناه ، وأطلق عليه زيد بن محمد بعد أن كان اسمه : زيد بن حارثة .

كذلك فإنَّ من عادات العرب أيضاً أن يعتق السيد العبد الذي يقف بجانبه إذا ما حلَّ عليه ضيف عزيز على قلبه ؛ تعبيراً عن تقديره لضيفه .

وأيضاً فإنَّ القبائل أو العائلات القليلة العدد كانت تلجأ إلى شراء عبيد أقوياء وتحريرهم ليصبحوا موالي ينضمون إلى العائلة أو القبيلة ليمنعوا من أعتقهم ، كما نصح أبو قحافة ابنه أبا بكر عندما وجد أنَّ ابنه أبا بكرٍ يعتق عبيداً نساءً أو رجالاً ضعافاً!!

إنَّ المتأمل لوضع العبيد في الجزيرة العربية يستنتج أنَّه لا يمكن أن تحدث ثورة أو تنجح دعوة لتحرير العبيد في الجزيرة العربية كلها ، وذلك للأسباب التالية :

١ـ جميع العبيد كانوا يملكون فرصة للتحرر عن طريق السعي إلى إرضاء أسيادهم ، ناهيك عن أنَّ الأغلبية ترتبط بمكاتبة مع أسيادهم ومحاولة العصيان أو التمرُّد أو الثورة سوف تلغي المكاتبة أو الاتفاق المبرم على الحرية مع أسيادهم .

٢ـ إن سفر العبيد مع أسيادهم التجار يجعلهم يشاهدون ويعاينون أشكالاً من المعاملة السيئة للعبيد من غير العرب لعبيدهم ، وهذا يعطي العبيد نوعاً من الرضا عن أسيادهم ذوي المعاملة المقبولة بالنسبة إليهم .

٣ـ إنَّ عقوبة العبد الآبق هي القتل ، وهو عقاب لا يستحق المحاولة في نظر العبيد

٤ـ إنَّ العبد المحرَّر يطمح في موالاة القبيلة والعائلة التي حررته برضاً منها ودون إكراه نظراً لحاجته إلى مصاهرتهم ، وتنشئة أبنائه بينهم ، والانصهار في تلك القبيلة .

ممَّا تقدَّم يتبيَّن أنَّ العبيد في الجزيرة العربية لم تتفاعل ظروفهم ، ولم يدفعوا إلى الإحساس بالاضطهاد والظلم الذي يدفعهم إلى الثورة والعصيان .

ولو أنَّ محمداً ﷺ دعا إلى الثورة أو إلى تحرير العبيد رغماً عن أنوف ساداتهم لرفض العبيد دعوة محمدٍ ﷺ .

ب ـ وضع المرأة عند العرب :

المرأة عند العرب موضع افتخار واعتزازٍ ، حيث إنَّ العربيَّ يفتخر بنسبه الشريف إلى أمِّه ، كما يفتخر بنسبه الشريف إلى أبيه ، وإنَّ سبي امرأة حرَّةٍ قد يؤدي إلى إشعال الحرب بين القبائل المتحالفة ، ناهيك عن أن أبناء المرأة المسبية يلحقهم العار إلى الأبد ، من أجل ذلك لا يلجأ الرجل الرشيد إلى مثل هذا الزواج ، كما فعل عروة بن الورد الذي تزوج من سبيته ، فألحق العار بأبنائه حيث كان يطلق عليهم : أبناء السبية ! !

ويمتلىء التاريخ العربي بقصص لحروبٍ نشبت نتيجة إهانة امرأة ، مثلما حدث في قتل عمرو بن كلثوم مضيفه عمرو بن هند عندما أهانت أم الأخيرة والدة عمرو بن كلثوم . وقد منح العرب نساءهم حقَّ اختيار الزوج ، فلا يحقُّ لعربي إكراه بناته أو شقيقاته على الزواج بمن لا يرغبن به . كما أنَّه ظهر من النساء من مارسن التجارة أمثال خديجة بنت خويلد التي كانت (تستورد) تتاجر مع الشام عبر مولاها ميسرة ، وقد منح العرب للمرأة حق التملك ، وحق الاحتفاظ بنسبها وحق التعلم ، وحق اقتناء الجواري ، وحق اقتناء العبيد ، وحق التفريق إذا أرادت ترك زوجها

لأسباب مقبولة . كما أعطت العرب المرأة حق تكرار الزواج للمطلقة ، وحق إبداء الرأي في أمور القبيلة العامة .

هذا وقد لعبت المرأة في تاريخ العرب دوراً رائعاً ومشرقاً ومن خلف الستار وذلك بحكم علاقتها الزوجية أو الأسرية ، حيث كان دورها مساعداً لإطفاء نار الحروب المشتعلة وإرساء السلام بين القبائل المتحاربة ، عن طريق التأثير على مراكز القرار في القبيلة ، وخير الأمثلة على ذلك ما حدث مع الحارث بن عوف وقصة زواجه من بهيئة بنت أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، وفضلها في إخماد نار الحرب بين قبيلتي عبس وذبيان .

هذا وقد عرف العرب الزواج بمقدم مهر ، وعُرِف الطلاق بمؤخر ، كما عرف المجتمع العربي تعدد الزوجات بلا حدود ، مثلهم في ذلك مثل اليهود في تعدد الزوجات .

والمرأة العربية لا تمارس البغاء ، ولا الدعارة ، وإن كان عند العرب مثل هذه الدور فإن البغايا كنَّ من الجواري اللائي يملكهن اليهود حصراً والذين يديرون مثل هذه الدور ، حيث لا يليق بالعربيِّ أن يدير مثل هذه البيوت لأنفته واحتقاره لمثل هذا العمل الشنيع .

وعلى الجملة فقد كانت النساء العربيات يتمتعن بوضع اجتماعي مقبول إن لم يكن ممتازاً مقارنةً بوضع النساء عند بقية الشعوب ، فعلى سبيل المثال عقد الفرنسيون اجتماعاً ليقرروا إذا كانت المرأة إنساناً أم لا ؟ وبعد نقاش قرر المجتمعون أن المرأة إنسان ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل ، وكان ذلك سنة /٥٨٦ م/ وذلك في نفس الفترة التي نتحدث عنها عن وضع المرأة عند العرب[1] .

---

(١) الإسلام ـ د. أحمد شلبي (ص٢١٩).

إنَّ وضع المرأة الذي تحدثنا عنه هو الوضع العام للمرأة الذي كانت تتعارف عليه معظم القبائل العربية القوية والكبيرة ، أما عند القبائل الضعيفة والفقيرة فكانت لديهم عادات وممارسات سيئة كانت مرفوضة ، ومستنكرة ومستهجنة من قبل القبائل القوية وذات السمعة والشرف .

فمن العادات السيئة التي كانت تمارس ضد الإناث عادةً دفن الوليدات من الإناث وهنَّ أحياء ، وذلك نتيجة فقرهم ومحدودية مواردهم ، فيلجؤون إلى وأد الإناث والإبقاء على المواليد الذكور لإعالتهم عوضاً عن إعالة أخواتهم من البنات .

وكان هذا الإجراء يلجأ إليه بعض بطون قبيلتي تميم وأسد فقط من بين قبائل العرب ، ورغم ذلك فإنَّ بعض أشراف تميم كان يكره هذه العادة لدرجة أنَّه كان يشتري البنات ممن يريد وأدهن والإبقاء على حياتهن مقابل بعض النوق التي تذهب الفقر عن آبائهن ، وقد عرف ذلك عن غالب بن صعصعة جدِّ الفرزدق[1] .

كما أنَّ أنواع الاجتماع بين الرجل والمرأة الغير مألوفة والغير محببة والتي لا يقبلها شرف العربيِّ ، والتي لا يمارسها سوى أراذل القوم الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان مثل السفاح واتخاذ الخليلات (الأخدان) والاستبضاع ، كلها كانت علاقات مرفوضة ومحتقرة ولا تدعو إلى الافتخار الذي يحافظ عليه العربيُّ محافظته على حياته .

ولو كانت دعوة محمد ﷺ استهدفت تحرير النساء أو إطلاقهن ؛ لرفضت النساء دعوته واتِّباعه .

---

(١) الأمم الإسلامية ـ الخضري بك (ج١ ، ص ٢١).

ثالثاً ـ محمد ﷺ ليس مصلحاً سياسيًّاً :

كانت الجزيرة العربية عبارة عن قبائل متناثرة ، وما القبيلة إلا مجموعة من الأسر تنحدر من أبٍ واحدٍ ، على الرغم من أنَّ كلَّ القبائل تنحدر من إسماعيل بن إبراهيم إلا أنَّ الرابطة بين أفراد القبيلة الواحدة أقوى من الرابطة التي تربط بين القبائل المختلفة لكونها أضعف من الأولى ، لذلك كان ولاء الفرد مطلقاً لقبيلته .

هذا ويترأس القبيلة شيخ القبيلة الذي يجب أن يتمتَّع بمواصفات محددة وهي سلامة النسب ، والحواس ، والعقل ، والغنى ، والحلم ، والكرم ، والشجاعة ، والمروءة ، والنجدة ، والفروسية ، وما إلى ذلك من الصفات التي تؤهِّله لذلك .

ويعاون شيخ القبيلة في إدارة شؤون القبيلة مجلسٌ استشاريٌّ ، يتمتَّع أفراده بصفاتٍ مشابهة لصفات شيخ القبيلة ، إلا أنَّه غالباً ما يكون أجمعهم بمواصفات السيادة .

والرياسة يمكن انتقالها بالوراثة شريطة توافر شروط الرياسة ، ونظراً لتعدد احتياجات القبيلة الواحدة فإنَّه يتوجب على شيخ القبيلة البحث بين أفراد قبيلته لاكتشاف المواهب المتوافرة بين أفراد قبيلته ، ليضعها في خدمة مصالح القبيلة التي تحتاج إلى الطبيب ، والشاعر ، والفارس ، والكاهن ، والحكيم ، والقابلة ، والمقاتل .

لذلك فإنَّ المواهب عند العرب لا تضيع ويتمُّ اكتشافها مبكراً وتبنيها لتنميتها ووضعها تحت تصرف القبيلة ؛ لأنها من الثروات البشرية للقبيلة ، ولا يجوز تجاهلها ، أو التفريط بها ، ومن هنا لا تجد صاحب موهبة لم تنصفه قبيلته ، وإلا لجأ إلى قبيلة أخرى تنصفه ، وتضعه في موضعه الصحيح .

والقبيلة لها موقع محدَّد ، ولها حدود معينة تؤمِّن لها المراعي لمواشيها ، ومصدرها ماء للأفراد والمواشي .

ويمثل شيخ القبيلة الأب في الأسرة الواحدة ، وتصغر الدولة لتأخذ شكل القبيلة وتكبر الأسرة لتصبح دولة ؛ لذلك تجد أنَّ شيخ القبيلة يلعب دوراً في الزواج ، والطلاق بين الأفراد والمبادلات التجارية ، ورعاية وتوجيه ثروة القبيلة من المواشي ، والفصل بين الخلافات ، والمحافظة على الأعراف ، والتقاليد ، ويقود الفرسان للحرب ، كما يمثِّل القبيلة أمام القبائل الأخرى .

والفرد في القبيلة يتمثَّل قبيلته ، فلا يقوم بأيِّ عملٍ يسيء إلى سمعة قبيلته ، كما أنه لا يخرج عن إجماع قبيلته ، وعلى الرغم من عشق العربي للحرية فإنه يلتزم بقضايا قبيلته ، ويعتبر نفسه ممثلاً لقبيلته لدى القبائل الأخرى .

وفي المجتمع القبلي العربي يذوب الفرد في القبيلة ، وتذوب القبيلة في الفرد ، ففي حال الاعتداء أو حتى إهانة فرد من أفراد القبيلة ، فإنَّ القبيلة كلَّها معنية في الدفاع عن ذلك الفرد ، أو ردِّ اعتباره له مهما كان هذا الفرد ، سواء كان راعي أغنام ، أو امرأة ، أو طفلاً ، أو شيخ قبيلة .

وبناءً على ما تقدم نستطيع أن نفهم أنَّ القبيلة الواحدة عبارة عن مجتمع يضمن تكافؤ الفرص والحرية ، ويقوم على الأخوة والعدالة وانعدام الطبقات إلى الحدِّ الذي يضمن لكل فردٍ من أفراد القبيلة مركزه ، وقيمته ، ومميزاته ، واعتراف الباقين له بهذه السَّوية والدرجة التي يتمتع بها .

ويعتبر النظام القبلي جيداً ، إلا أنَّه لا يستطيع أن يكون دولةً تستطيع أن تقف في وجه دولةٍ كبيرةٍ ، كدولة الروم ، أو الفرس ، ناهيك عن

اشتعال الحرب بين القبائل لأقلِّ الأسباب متناسين انحدارهم من أبٍ واحدٍ .

أمام هذا الواقع للمجتمع العربي القبلي وواقع المرأة وواقع العبيد ، لا نستطيع أن نعتبر محمداً ﷺ في حالٍ من الأحوال مصلحاً سياسياً أو اجتماعياً ؛ وذلك للأسباب التالية :

١ـ العبيد لا يريدون ثورةً أو إصلاح شؤونهم :

كنَّا قد وصفنا سابقاً أوضاع العبيد بأنها ليست أوضاعاً مزرية تشابه أو تماثل من قريب أو بعيد الأسباب التي دعت إلى قيام ثورة العبيد الرومان المعروفة بثورة (سبارتاكوس) .

٢ـ المرأة العربية ليست لديها مظالم تدفعها إلى الثورة ، أو طلب الإصلاح لأمورها :

لقد بينا سابقاً : أنَّ وضع المرأة العربية كان أفضل بكثير من مثيلاتها في الأمم الأخرى ، بل إنَّه وضع كان من الممكن أن تحسدها عليه بنات جنسها من الأمم الأخرى لو قدِّر لهم أن يطَّلعوا على وضع النساء العربيات .

وعلى الرغم من أنَّه لم يعرف في التاريخ الإنساني ثوراتٌ للنساء ، إلا أنَّه مع ذلك فإنَّ النساء العربيات أخذوا من رجالهم ما يستحقون من احترامٍ وتقدير .

٣ـ الفرد العربي ليس لديه دواعٍ للثورة أو الإصلاح :

لقد كانت تقوم القبيلة على أخوَّة الدم الذي يجري في عروق الأخوة لانحدارهم من أبٍ واحدٍ ، وتكافؤ الفرص مضمون للجميع ، وحرية التعبير مضمونة للجميع . إذاً ليس هناك داعٍ لقيام ثورة كثورة الفرنسيين

للمطالبة بالأخوة ، والحرية ، والمساواة ، كما أنَّ القبيلة لا تنقسم إلى طبقات تحتكر النفوذ والثروة ، وتستغلُّ غيرها من الطبقات لتقوم الطبقات المستغلة بثورة على غرار الثورات الاشتراكية والشيوعية .

بل والأكثر من ذلك فإنَّ القبيلة غالباً ما تعالج مشاكلها ، وبشكلٍ جذريٍّ وفوريٍّ ، هذا إذا كان لديها مشاكل مهمة أصلاً .

٤ـ طبيعة دعوة محمد ﷺ :

إنَّ محمداً ﷺ الذي ظهرت دعوته أوائل القرن السابع الميلادي كان يدعو فقط إلى التوحيد ، والإيمان بالبعث ، وأنه رسول الله فقط ، وبقي كذلك حوالي عشر سنوات لا يعد أحداً بشيءٍ من أمور الدُّنيا ، وإنما يطلب من أتباعه الصبر على الأذى ، ويعدهم بدخول الجنة ، وبقيت دعوته كذلك إلى أن هاجر من مكة إلى المدينة حيث أصبحت المزايا الدنيوية للمستضعفين ثمرةً من ثمرات إيمانهم بوحدانية الله .

٥ـ آمن بدعوة محمد ﷺ فئات المجتمع كافة :

إذا جاز لنا تقسيم المؤمنين برسالة التوحيد ، فإننا لانجد من المؤمنين طبقةً واحدةً فقط استجابت لدعوة التوحيد دون غيرها من الطبقات ، فلقد كان من أوائل المسلمين :

١ـ من طبقة التجار : أبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف . . . فماذا يستفيد التجار من الإسلام ؟

٢ـ من طبقة السادة : عمر بن الخطاب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وسعيد بن زيد العدوي ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وخالد بن سعيد بن العاص ابن سيد قريش . . . فماذا يستفيد السادة من الإسلام ؟

٣ـ **من طبقة الموالي** : صهيب الرومي ، وعمار بن ياسر ، ووالده ياسر العنسي الذي استشهد تحت التعذيب ليرتد عن دينه ، واستشهد مسلماً ، وزيد بن حارثة ، فماذا أراد الموالي من الإسلام ؟

٤ـ **من طبقة نساء الموالي** : سمية والدة عمار بن ياسر استشهدت تحت التعذيب رافضةً الارتداد عن الإسلام ، فلماذا دخلت في الإسلام ؟

٥ـ **من طبقة أشراف النساء** : خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت الخطاب ، وأم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ، وأم سلمة زوجة أبي سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد ، فلماذا دخل هؤلاء النساء في الإسلام ؟

٦ـ **طبقة جواري النساء** : أم عبيس ، وزنيرة ، والنَّهدية ، وبنتها ، وجاريتا إحدى نساء بني عبد الدار ، وجارية بني مؤمل من بني عدي ، فلماذا تدخل الجواري في الإسلام ؟

٧ـ **طبقة العبيد** : عامر بن فهيرة ، وبلال بن رباح ، وخبَّاب بن الأرت ، فلماذا دخل العبيد في الإسلام ؟

٨ـ **طبقة رعاة الأغنام** : عبد الله بن مسعود ، وأبو ذر الغفاري ، وأخوه أنيس الغفاري ، فلماذا أسلم هؤلاء الرعاة ؟

لقد آمنت كل هذه الفئات بدعوة محمد ﷺ ؛ لأنَّها تدعو إلى التوحيد وليس إلا ، فلقد كان نتيجة إسلام التجار أن قاطعت قريش شراء بضائعهم ، وكان نتيجة إسلام السادة تسفية عقولهم ، وكان نتيجة إسلام المولى صهيب الرومي سلب ماله الذي ورثه إياه سيده ، بينما كانت عقوبة ياسر العنسي وزوجته سمية التعذيب حتى الموت ، وعقوبة أشراف النساء عزوف قريش عن مصاهرتهم ، وعقوبة الجواري والعبيد هو التعذيب .

وكانت قريش تهدف من وراء هذه العقوبات أن يرتدَّ هؤلاء المؤمنون

عن التوحيد إلى الشرك ، لكنَّ كل هؤلاء رفضوا الارتداد إلى الشرك ، وثبتوا على التوحيد .

وإنَّ خير مثال نورده هو قصة تعذيب بلال بن رباح ، وقد كان عبداً ولد لبني جمح من عبدهم رباح بعد أن زوجوه من حمامة ، وعندما أسلم بلال تسلَّمه أمية بن خلف وهو ليس صاحبه ؛ معتقداً أنه يستطيع أن يجعله يرتد إلى الشرك ، ويترك التوحيد . إلى بطحاء مكة عندما يشتدُّ حرُّ الظهيرة ، فيأمر بالصخرة الكبيرة فتوضع على صدر بلال ، ويقول له : لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد ، أحد .

لقد كان بلال يقول : (أحد ، أحد) لأنَّه يريد أن يكون موحداً ، وليس مشركاً ، ولو كان يريد حريته لقال : حرِّروني . . . حرِّروني ! !

وذات مرَّة مرَّ أبو بكر الصديق ، فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ قال : أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى ، فقال له أبو بكر : أفعل ، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى ، على دينك ، أعطيكه به ، قال : قد قبلت ، فقال : هو لك . فأعطاه أبو بكر الصديق غلامه ذلك ، فأخذه فأعتقه[1] .

لم يكن بلال وحده الذي أعتقه أبو بكر ، بل كان سابع عبدٍ وجاريةٍ حرَّرهم أبو بكر ، فلماذا أنفق أبو بكر الصديق ماله على تحرير العبيد ؟

ليس هناك سبب سوى أنَّ أبا بكر أراد أن يرضي الله عند تحرير أحد عباده المخلصين ، ولا تجد عند أتباع الأنبياء السابقين ، ولا في كتبهم أمثال أبي بكر في الإنفاق ابتغاء مرضاة الله .

---

(١) سيرة ابن هشام (ج ١ ص ٢٣٧) .

وهكذا يتضح أنَّ محمداً ﷺ لم يكن مصلحاً اجتماعياً أبداً ، ولا غايته تحرير العبيد ، ولا إنصاف المرأة ، ولا إزالة الطبقات ، ولا توزيع الثروة . . . بل كان داعياً إلى الله وإلى توحيده فقط . . . لكن غرسة التوحيد ما لبثت أن أثمرت تحريراً للعبيد ، وإكراماً للمرأة ، وإتماماً لمكارم الأخلاق ، وبناء دولة العدل ، والحقِّ ، والخير .

رابعاً ـ ليس محمد ﷺ مصلحاً دينياً :

إنَّ المصلح الدينيَّ يظهر بين أفرادٍ يعتنقون ديناً واحداً ، أدَّت ممارساتٌ خاطئة لبعض أفراد هذا الدين إلى أن يندفع أحد الورعين ، أو الغيورين على هذا الدين إلى الدعوة إلى الدين الصحيح اعتماداً على مراجع أساسيةٍ معترفٍ بها لدى الجميع .

ومثال ذلك المصلح مارتن لوثر الدارس للاهوت المسيحي ، والورع الذي يحاسب نفسه على سيئاتها ، فعندما قرَّر زيارة الأراضي المقدَّسة في روما ليتبارك بها ، وجد هناك ما أزعجه ، حيث وجد أن البابا (ليو) أراد أن يعيد بناء كنيسة القديس بطرس ، وللحصول على المال اللازم راح يبيع صكوك الغفران (وهي صكوك تضمن للمسيحي دخول الجنة عند شرائه صكاً من الصكوك » .

وما أن عاد مارتن لوثر إلى ألمانيا حتى قدم إليه مبعوث البابا (ليو) ليبيع صكوك الغفران في البلدة التي تقع فيها الكنيسة التي يرعاها مارتن لوثر ، فما كان منه إلا أن علَّق على باب كنيسته الاحتجاجات على ما آلت إليه المسيحية .

طلبه البابا لمحاكمته أمام محاكم التفتيش ، فلم يذعن ، فأصدر قراراً بحرمانه ، وبناءً على ذلك أصدر الإمبراطور في أواسط القرن السادس

عشر قراراً بحرمان مارتن لوثر من الحقوق القانونية والمدنية ، ومعنى ذلك أنَّه أصبح مهدور الدَّم .

لم يستطع أحدٌ قتل مارتن لوثر ؛ لأنَّ أحد أمراء ألمانيا حماه من القتلة ، لكنَّ مارتن لوثر كان قد أسَّس بذلك حركة الإصلاح الديني ، وسميت فيما بعد الكنائس التي اتبعت مبادىء مارتن لوثر بالكنيسة البروتستانتية التي تعتمد المبادىء التالية :

١ـ الكتاب المقدس هو المرجع الوحيد للمسيحية ، ولا قيمة لرأي لا يصدر عن الكتاب المقدس .

٢ـ من حقِّ كلِّ مسيحي أن يقرأ الكتاب المقدَّس ، وأن يفسِّره ، وكان لا يحقُّ لأحدٍ أن يقرأ ويفسِّر إلا رجال الدِّين .

٣ـ استقلال كلِّ كنيسةٍ على حدةٍ ، وكانت الكنائس الكاثوليكية وغيرها لها رئاسة تشبه رئاسة البابا .

٤ـ ليس للكنيسة حقُّ غفران السيئات ، وقد أيدته في ذلك الكنائس الأرثوذكسية .

٥ـ وجوب ترجمة الكتاب المقدَّس إلى اللغات كافة لتكون الصلاة والدُّعاء بلغة يعرفها المسيحي .

٦ـ العشاء الرباني ليس له إلا قيمة تاريخية فقط ، ولا علاقة له بدمِ ولا بجسمِ المسيح .

٧ـ لا حاجة إلى الرهبانية بينما تصر الكنائس الأخرى على ضرورتها .

٨ ـ إباحة الزواج لرجال الدين .

٩ـ نبذ مظاهر الوثنية من تقديس للتماثيل والصور الموجودة في الكنيسة ، وعدم السجود لها .

وعلى الرغم من أنَّ مارتن لوثر قد أصلح ما ابتدعه الباباوات إلا أنَّ حركته لم تستطع أن تتغلب على البابا وأتباع المذاهب الأخرى ، كما أنَّ إصلاحات مارتن لوثر تناولت ما أدخله الباباوات الجدد ، ولم تتطرَّق إلى مواضيع رئيسة وخطيرة ، مثل : التثليث ، والصلب ، والبحث عن الأناجيل ، ودقَّتها ، ومؤلفيها ، ومدى سلطة المجامع في اتخاذ قرارات تتعلق بأسس الدين ، وعلى الرغم من ذلك يعتبر الكاثوليك لوثر من أصحاب البدع ، والأضاليل[1] .

هذا ما نقوله عن أشهر المصلحين الدينيين في العالم الذي يتبعه مسيحيي الغرب كافة ، والذي ظهر بعد حوالي تسعة قرون من محمد ﷺ .

أمَّا محمد ﷺ فهو ليس مصلحاً دينياً ، بل هو أكثر من ذلك بكثير جدَّاً ، وذلك للأسباب التالية :

أ ـ إن ظهور مصلحٍ دينيٍّ يتطلَّب حدوث خطأ دينيٍّ كبيرٍ ، أو حدثٍ معيَّنٍ يؤدي إلى ظهور ذلك المصلح ، الأمر الذي لم يحدث بين العرب ، إنما ظهرت دعوة محمد ﷺ فوراً ودون سابق إنذار ، أو أي تمهيد .

ب ـ لم يكن محمداً ﷺ على دين العرب ، بل إنه امتنع عن تقليدهم في عبادتهم ، لنفوره من عبادة الأوثان ، وذلك قبل ظهور دعوته .

جـ ـ لم يكن محمداً ﷺ غيوراً على دين العرب ، أو محترماً لأوثانهم وإنما كان يحتقر الأوثان ، ويخلو بنفسه في غار حراء في شعبٍ من شعاب مكة متأملاً في خلق الله من سماء ، وجبال ، ووديان .

---

(١) المسيحية ـ د. أحمد شلبي (٢١٩).

د ـ لم يكن لدى العرب كتابٌ مقدَّس ، ولا أيُّ وثيقة مقدَّسة ، بل إن القرآن ظهر إلى الوجود بعد دعوة محمد ﷺ .

هـ ـ لقد كان العرب يؤمنون بأشياء كثيرة ، ويعتبرونها ديناً ، ولولا بعثة محمد ﷺ لما عرف الصحيح منها من الفاسد ، على الرغم من أن ما يمكن أن نعتبره مأخوذاً من دين إبراهيم قد حرف ، وبدِّل ، وشوِّه إلى درجةٍ كبيرةٍ ، ولولا بعثة محمد ﷺ لما عرف أنَّ هذه العبادات مأخوذة من دين إبراهيم مثل الحجِّ وشعائره أصلاً .

و ـ يعمل المصلحون عند ظهورهم على إصلاح بعض أمور دينهم ، لكنَّ محمداً ﷺ بدَّل دين العرب تماماً ، وأظهر جذور اليهودية وأصولها ، وكذلك المسيحية ، وبيَّن ونقد عقائد الأديان على اختلاف معتقداتها .

لقد جاء محمدٌ ﷺ بالمقياس الذي على أساسه تقاس العقائد ، والعبادات ، والمحرمات والمحلَّلات لكافة الأديان المعروفة للإنسان ، والتي سوف تبتكرها البشرية فيما بعد في القرآن الكريم الذي كان يتلوه على الناس .

فإذا كان محمدٌ أميّاً لا يقرأ ، ولا يكتب ، ويعمل في رعاية الأغنام بعيداً عن الناس وفي الجبال المحيطة بمكة ، فمن أين جاء بهذا المقياس المذهل أعني القرآن الكريم ؟ إنَّه لا يمكن أن يكون مصدر هذا المقياس المذهل سوى الوحي الذي أراده الله أن ينزل على البشر لهداية الناس أجمعين ، وليس لإصلاح دين العرب الذي لايعتبر ديناً أصلاً .

والخلاصة : إنَّ محمداً ﷺ كان يرفض أيَّ وصفٍ له ، وما كان يقبل من الناس إلا وصفاً واحداً ، وهو أنَّه نبيٌّ .

وقد سأله مرَّةً عمر بن عنبسة عندما سمع بمحمد ﷺ ، فقال : دخلت

على النبي ﷺ بمكة ، يعني في أوَّل النبوَّة ، فقلت له : ما أنت ؟ قال : « نبي » فقلت : وما نبي ؟ قال : « أرسلني الله » فقلت : بأيِّ شيءٍ أرسلك ؟ قال : « أرسلني بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يوحَّد الله لا يُشرك به شيء . . . » إلى آخر الحديث[1] .

* * *

(١) مسلم رقم (٨٣٢) .